

الأخوة الإيمانية

سماحة آية الله
الشيخ عيسى أحمد قاسم



الأخوة الإيمانية

في الكتاب والسنة

بمأجزة القارئ آية الله المجاهد الشيخ عيسى أحمد قاسم

المؤتمر الدولي لتكريم شخصية سماحة آية الله المجاهد الشيخ عيسى أحمد قاسم (دام عزه)

همايش بين المللي نكوداشت حضرت آيت الله شيخ عيسى احمد قاسم (دام عزه)

جائزة المصطفى العالمية : 4 |
جهاز مين دوره ي جايزه ي جهاني المصطفى

دار الفقيه للقانون
مخطوطات وآثار آية الله العظمى

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفهرس

٥	الفهرس
٩	مقدمة
١١	معنى الأخوة
١٢	معنى الأخوة الإيمانية
١٥	فطرية الحاجة للإخوان
١٧	دائرة الأخوة في رأي الإسلام
١٧	الأخوة الإنسانية
١٧	الأخوة الإسلامية
١٩	جذور الأخوة الإيمانية
٢٠	دواعي الصداقات والأخوات
٢٢	مقام الأخوة الإيمانية
٢٥	الأخوة الإيمانية جعل تشريعي وتكويني
٢٦	الدليل على كونها جعلاً تشريعياً وواقعياً
٣١	ما هو المحقق لمفهوم الأخوة شرعاً؟
٣٣	النظر إلى الأخ في الله بمودة عبادة
٣٥	الأخوة الحقيقية علامة التشيع

- ٣٩ مودجبة الأخوة الإيمانية.....
- ٤٧ مقامات الأخوة في الله.....
- ٤٧ المقام الأول: الأخ في الله أرحم من الآباء والأمهات.....
- ٤٨ المقام الثاني: معنى «المؤمن أخ المؤمن لأمه وأبيه»؟.....
- ٥٠ خصوصية الأخوة القديمة:.....
- ٥٢ إخوان الصدق.....
- ٥٥ من هو خير الإخوان ومن هو شرهم؟.....
- ٥٥ خير الإخوان.....
- ٥٨ شر الإخوان.....
- ٦١ ما هي مقتضيات الأخوة الإيمانية؟.....
- ٦٣ لوازم الأخوة في الله.....
- ٦٣ ١- الوفاء وعدم الخيانة.....
- ٦٣ ٢- الدعاء للأخ في الله.....
- ٦٤ آثار دعاء المؤمن لأخيه.....
- ٦٧ ٣- التراحم والتحاب علامتا الأخوة الإيمانية.....
- ٦٨ ٤- التصافح والتزاور من مظاهر الأخوة الإيمانية.....
- ٧١ المحبة والمودة بين الأخوة.....
- ٧١ إخباره بمحبتك لك.....
- ٧١ مودتك لأخيك دليل على مودته لك.....
- ٧٣ محبة الإيمان لا يفرط بها على أي حال.....



- التجديد والاستكثار من الإخوان ٧٧
- ١- معنى تجديد الأخوة وفوائدها..... ٧٧
- ٢- فائدة استكثار الإخوان ٧٨
- ٣- الأعجز في اكتساب الإخوان وتضييعهم ٧٩
- متى وكيف تقوى العلاقة الأخوية بين المؤمنين؟ ٨٣
- إدخال السرور على قلب الأخ المؤمن ٨٤
- السعي في قضاء حاجة المؤمن ٨٧
- المؤمن نفاع سبّاق للخير ٨٧
- من أساء فعلها ٨٩
- صنّ وجهك، واحفظ شرفك ٩٠
- ثواب ومقام قضاء حاجة المؤمن ٩٣
- ستر عورة المؤمن ٩٧
- المناصحة أهمُّ حقوق الأخوة الإيمانية ٩٩
- حقوق الأخوة في الإسلام ١٠٥
- ١- حرمة النفس والمال ١٠٥
- ٢- النصيحة ١٠٥
- ٣- النصرة ١٠٦
- ٤- الإعانة ١٠٦
- ٥- الإكرام ١٠٧
- ٦- الإيثار ١٠٧

- ١٠٧.....الحفظ بالغيب ٧-
- ١٠٨.....إهداء العيب ٨-
- ١٠٩.....الدعاء بالغيب ٩-
- ١٠٩.....النهي عن المنكر ١٠-
- ١١٠.....الصَّحَّحَ عن الرَّئِل ١١-
- ١١٠.....التَّفَقَّدَ عند الغيبة ١٢-
- ١١١.....من أحاديث الحقوق الثابتة بإخوة الإيمان ١١١-
- ١١٣.....ضوابط تحكم علاقة الأخوة ١١٣-
- ١١٣.....١- الحشمة ضمانة المودة ١١٣-
- ١١٤.....٢- حدود العتاب والمحاسبة ١١٤-
- ١١٤.....٣- خط رجعة بعد القطيعة ١١٤-
- ١١٦.....٤- لزوم الصلح بعد الصلح ١١٦-
- ١١٧.....لا تواخ أصنافاً من الناس ١١٧-
- ١١٩.....قلّة الأخ الموثوق به في آخر الزمان ١١٩-

مقدمة

إنّ للإسلام نظاماً اجتماعياً قوياً الأساس، عالي البناء، عميم الخير، ثابتاً على الزمن لا يبلى، قائماً على أصول خلقية كريمة ضاربة الجذور في نفس الإنسان، مهتدياً بهدى التوحيد آخذاً بمبدأ العدل والإحسان، والتعاون على البر والتقوى، والنصيحة في السر والعلن، مقدراً مكانة الإنسان، مستهدفاً تمتين الأواصر الإنسانية النبيلة، عاملاً على الابتعاد بحياة المجتمعات عن حالات الفوضى والتفكك والشتات، والكيد بالباطل، والمكر السيء، والإضرار بالآخر، مستفيداً من علاقات النسب والمصاهرة والإخاء الإنساني، وعلاقات المكان والزمان، والصدقة والمصاحبة، والتعارف في توظيف دقيق هادف مثمر كريم يعتمد التشريع لأحكام إلزامية، وسنن وآداب ووصايا، والاستثارة لمنابت الخير، وأصول الخلق الكريم وحبّ الفضل والفضيلة في النفس الإنسانية، والتربية الصالحة الهادفة وسائل على طريق الرقيّ بنمط العلاقات المريحة النافعة بين الإنسان وأخيه الإنسان مما يساعد هذا المخلوق فرداً ومجتمعاً على الارتفاع بمستوى حياته بكاملها.

وإنّ رابطة الإيمان هي أقدس الروابط بين العباد في الإسلام، وإنّ الأخوة الإيمانية أطهر الأخوات وأزكاها وأبعدها عن التصنع الكاذب، والمجاملات الخادعة، وهي سبيل من السبل المعينة على

الهدى، والاستقامة، وطلب الإصلاح، وتقوم على الاختيار الواعي، والنظر السديد، ويدفع إليها هُفُوُّ النفس الطاهرة إلى جمال الطهر في النفس الأخرى، وتعانق الرُّوحين من حيث إشراقة الإيمان التي تغنيان بها، وتتسوّفان إلى مزيد^(١).

(١) خطبة الجمعة (٣٤٦) ٢٢ ذو القعدة ١٤٢٩هـ - ٢١ نوفمبر ٢٠٠٨م.

معنى الأخوة

الإخاءُ علاقةٌ ذات جذرٍ مشتركٍ بين طرفين يجعلهما على صعيدٍ واحدٍ، ونسبةٌ مشتركةٌ فيما يرجع إليه. والأخوةُ أنواعٌ في الاستعمال اللغوي، واستعمال القرآن الكريم؛ فتستعمل في:

- ١-العلاقة النسبية المعروفة والتي يشترك فيها اثنان من حيث التولّد من كلٍّ من الأب والأم أو أحدهما.
- ٢-كما تُستعمل في العلاقة الرّضاعية.
- ٣-والعلاقة الدينية.
- ٤-والقبلية وغيرها.

والدين والإيمان أصلٌ مشتركٌ تقوم عليه أخوةُ أهل الدين والإيمان؛ وهذا الأصل يخلق رابطةً قلبيةً بين المؤمنين، وتألّفاً روحياً، ويشدّ النفوس بعضها إلى بعض، وينشئ بينها حالة من التجاوب والانجذاب، وتأتي الكلمة عن أمير المؤمنين عليه السلام مفصّحة عن ذلك: «إنّ النفوس إذا تناسبت ائتلفت»^(١).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي، ص ٢٢٠.

وهذا أثر طبيعي تكويني تجده النفوس المؤمنة، وتعيشه قلوب المؤمنين تجاه بعضها البعض حالة وجدانية مشهودة^(١).

وقد قرّر القرآن الكريم هذه الأخوة وثبّتها، وأوجب الحفاظ عليها، ومراعاة حقّها، وحذّر من الانحدار عن صراط التقوى بإهمال شأن هذه الأخوة، والتهاون في حرمتها بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢) (٣).

معنى الأخوة الإيمانية:

أخوة الإيمان تعني روابط روحية متينة، ورؤية فكرية مشتركة، تعني قلبين التقيا على خط الله ﷻ واهتديا بهديه فتوحد منهما الهدف وهو أكبر هدف، واشترك عندهما المنطلق وهو أصدق منطلق -أي منطلق التوحيد- وصارت حياتهما منشدة إلى منهج واحد وهو منهج الرسالة والأنبياء والرسل والأولياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

إنّها أخوة قلبين تعارفا على طريق الله وتآلفا وقد يلتقي أحدهما وهو في المشرق بالآخر وهو في المغرب، أخوة تتجه

(١) خطبة الجمعة (٥٢٩) ١ محرم ١٤٣٤هـ - ١٦ نوفمبر ٢٠١٢م.

(٢) سورة الحجرات: ١٠.

(٣) خطبة الجمعة (٣٤٦) ٢٢ ذو القعدة ١٤٢٩هـ - ٢١ نوفمبر ٢٠٠٨م.



بالأخوين إلى الله ﷻ

وتوحد بينهما على مستوى العقل والإرادة والنفس بكل مشاعرهما،
وعلى مستوى الإرادة على مستوى السلوك^(١).

(١) خطبة الجمعة (٢٦٤) ٣٠ ذي القعدة ١٤٢٧هـ - ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٦م.

فطرية الحاجة للإخوان

ليس من إنسان إلا وهو محتاج في حياته إلى إخوانه من الناس، ولا يمكن له أن يقوم مقام أمة يتوفّر على يديها كل ما ينهض بحاجات الحياة.

ولو تفصّمت العرى في حياة مجتمع من المجتمعات، واستقلّ كل فرد من أفرادها في جهوده عن الآخر في بناء حياته، وتوفير كل متطلباتها بلا تعاون ولا تبادل ولا قضاء حاجة من أحد إلى أحد لاستحالت حياة هؤلاء الأفراد، ولو قدر لهم أن يعيشوا لما أمكن لهم أن يتجاوزوا حدّ الحياة البدائية المنحطّة الخسيسة، وأن يحرزوا علماً وتقدماً.

ويستهدف التصميم الإلهي للمجتمع المؤمن أن يكون أشدّ المجتمعات الإنسانية تماسكاً، وتفاعلاً إيجابياً وتعاوناً وتناصرًا في الخير، وصالحاً وإصلاحاً وقوةً، ونضجاً، وتكاملاً.

ومن هذا التصميم ما تحرص عليه نصوص الدين من إثبات وتأسيس وتجدير وتركيز ورعاية لروح الأخوة الإيمانية في أبناء المجتمع المسلم التي تدفع بهم إلى قضاء حاجة المحتاج منهم، والنهوض بالضعيف، وتفريج الكرب عن مكروبهم، والمبادرة إلى تعليم جاهلهم، وهداية ضالّهم، ونصرة مظلومهم في حسن نية،

وسلامة قصد، وشكر الله عَزَّوَجَلَّ على ما أنعم، ووفق إليه من عمل صالح، ودور بناء، من غير من ولا استعلاء، أو استطالة على أحد من ذوي الحاجات.

وفي هذا التعاون، والتعاضد، والتناصر، والقضاء على مواطن الحاجة، وبؤر الجهل، والضعف نهوض بمستوى المجتمع كله، وبناء لعلاقات إنسانية كريمة قوية متينة، وتصحيح للنفوس، وتفعيل لأكبر قدر ممكن من الطاقات، وزيادة للإنتاج، وفتح لفرص الإبداع، فرب موهبة كبيرة أقرها الفقر، ورب عبقرية متوقّدة قلل من عطائها الإهمال.

وبرغم أن واقع حياة الإنسان يجعله لا يستغني عن الناس إلا أن التربية الإسلامية تدفع بكل أبنائها إلى أن يطلبوا الغنى والقوة بكل أبعادها النافعة ليكون كل واحد منهم قادراً على العطاء ما أمكن، لا محتاجاً للأخذ، وفي موقع أن يعين، لا أن يعان. ومن لم يجد فليكن على تعفف وإكرام للنفس، وإذا أخذ فلا يأخذ إلا بقدر الحاجة^(١).

(١) خطبة الجمعة (٥٠٠) ٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠ أبريل ٢٠١٢م.

دائرة الأخوة في رأي الإسلام

الأخوة الإنسانية:

الأخوة في ضوء الإسلام لا يقف بها دين الله ﷻ عند حد من النسب أو الأرض أو العنصر أو غير ذلك، إنها الأخوة التي يريد لها الإسلام أن تمتد كل الامتداد لتستوعب أفراد هذا العالم كله. إنها الأخوة في الله تبارك وتعالى، والله للجميع، والجميع عبده. لا يوجد ما يمتد بالأخوة وبالمحبة والصدق والوفاء كما هو دين الإسلام الحق.

نعم، إذا كانت الأخوات في الأرض لها حدود تقف بها عن الامتداد لاستيعاب الناس فإن الأخوة الإسلامية لا تعرف شيئاً من هذه الحدود^(١).

الأخوة الإسلامية:

لا أدري عن الوجه الشرعي، ومن أين يُؤتى به على يد من يُخرج السنّي أو الشيعي من هذه الأخوة، ليستبيح من أحدهما دماً أو عرضاً أو مالاً، ويسعى مُصرّاً ليقسم المجتمع المسلم إلى قسمين

(١) خطبة الجمعة (٢٦٥) ٨ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٦م.

عليهما أن يدخلوا في حرب استنزافية دائمة تُضعف الطرفين،
وتُسيء للإسلام وتُشوّهه، وتُمكن منه ومن أمته كل أعدائهما؟!!

السنة والشيعه تجمعها مساحة كبيرة من الفهم للإسلام
وأحكامه وأخلاقه ورؤاه، وبينهما اختلاف. ورغم اختلافهما فإن
ظل الأخوة الإسلامية والإيمانية العامة يظلّهما معاً، ويثبت لكل
منهما حقوقاً على الآخر وحرّمات لا يجوز من أحدهما مسّها وفي
مقدمتها حرمة النفس والعرض والمال دون أن تقتصر على ذلك.

من حاول أن يجد دليلاً واحداً من الإسلام على أن يُخرج
سنيّاً أو شيعيّاً من دائرة الإسلام الظاهريّ العاصم لدم المسلم وماله
وعرضه فإنما يحاول المستحيل. واستباحته منه لذلك، وإسقاطه
لحقوق الأخوة الإسلامية العامة عنه إنّما هو تنكّر لمقتضى
الإسلام^(١).

(١) خطبة الجمعة (٥٣٠) ٨ محرم ١٤٣٤هـ - ٢٣ نوفمبر ٢٠١٢م.

جذور الأخوة الإيمانية

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لم تتواخوا على هذا الأمر إنما تعارفتم عليه»^(١).

أخوتكم الإيمانية، رابطة الإسلام والإيمان التي تحيونها لستم حديثي عهدٍ بها، وليست الشيء الطارئ على وجودكم، إنها من أصل النور الذي التقيتم عليه إذ كنتم وأنتم في عالم الروح، وما قبل الأصلاب تشتركون في نور الإيمان، تشتركون في أمر الهداية، في الرابط الإيماني الذي يوحدكم فكراً وشعوراً، إنك لأخو أخيك المؤمن، وإنه لأخوك قبل أن توجدا هنا، وقبل أن تتعرف عليه ويتعرف عليك في هذه الحياة.

هنا تعارف، واكتشاف لأخوة قديمة سابقة أصيلة متجدرة، وهي أخوة الإيمان، فأنت لا تملك هنا إلا أن تكون أخ صاحبك المؤمن، ولا يملك إلا أن يكون أخاك، فهذا ما تقضي به وحدة الفكر، ووحدة الشعور، والتلاقي على محبة الله تبارك وتعالى وولائه^(٢).

(١) الكافي، الكليني، ج ٣، ص ٤٣١. وجاءت في بعض النسخ بإضافة حرف "و"

ملاصقة لـ"إنما"، وهي مذكورة في المصدر المذكور. «منه حفظه الله»

(٢) خطبة الجمعة (٣٥٧) ٢٤ صفر ١٤٣٠هـ - ٢٠ فبراير ٢٠٠٩م.

دواعي الصداقات والأخوات

فرق هائل بين:

- ١- صداقة أو أخوة تنشأ على أساس من مطامع الدنيا.
- ٢- وبين أخرى تنشأ من أجل الله وفي ضوء أحكامه وأخلاق دينه.

تقول الكلمة عن علي عليه السلام: «من لم تكن مودته في الله فاحذره، فإن مودته لئيمة وصحبته مشومة»^(١) إذا كانت مودته لمال، لجاه، لأمر من أمور الدنيا، ولم يكن فيه ما يجتذب من نور الدين، ومن صدق المعرفة، ومن روح الإخاء في الله تبارك وتعالى فإنه محل الحذر؛ ذلك لأنه لن يقود إلا إلى شرٍّ، ولن يدل إلا على سوء، ولن يتقدم بك خطوة في اتجاه الله تبارك وتعالى. وكيف لا تكون المودة لئيمة والصحبة مشؤومة وهما إنما تنتهيان بالطرف الآخر إلى النار؟!

«الناس أخوان فمن كانت أخوته في غير ذات الله فهي عداوة، وذلك قوله عليه السلام: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٢)». ^(٣) قد يكسب أحدنا من صاحبه مالاً، قد يسهل له

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي، ص: ٦٥٢.

(٢) سورة الزخرف: ٦٧.

(٣) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلمي، ص ١٧٨.

صاحبه التسلق إلى

موقع رسمي كبير، قد تتبذخ حياة أحدنا بصحبة آخر، لكن يوم أن يكون كل ذلك في إطار من علاقات دنيوية بعيدة عن الله ﷻ يصحبها ضلال وتيه وضياع وانحدار عن الطريق فإن هذه الصداقة والأخوة لا بد أن تنقلب في يوم من الأيام إلى عداوة وأشد عداوة ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

نحن نصادق إبليس، نحن نصادق شياطين الأرض، نحن نصادق المضللين، ونفرح بهذه الصداقات، ونفرح بعطاءاتها، ولكن يوم أن تتكشف الأمور، ونقف أمام الحقيقة وجهاً لوجه، ونقف أذلاء بين يدي الله ﷻ، وينقسم الناس إلى فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير، تقوم العداوة الشديدة بيننا وبين من صادقنا وآخينا في هذه الحياة الدنيا لغير ذات الله^(٢).

(١) سورة الزخرف: ٦٧.

(٢) خطبة الجمعة (٢٦٥) ٨ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٦م.

مقام الأُخوة الإيمانية

ما هو مقامها من بين الأخوات الأخرى كالأخوة النسبية التي هي أقواها؟

فقد لا يرضي الأخ النسبي إلا أن يخرج أخوه على مصلحة الإسلام والمسلمين فما المقدم؟

وقد يخرج الأخ في حرب ضد الإسلام، ويكون أخوه في الجبهة الأخرى ويلتقيان وجهاً لوجه حال المحاربة فما هو الموقف؟

حكم الإسلام هنا واضح وهو تقديم أخوة الإيمان على أخوة النسب. فلا مس بمصلحة الإسلام والمسلمين لرضا الأخ، ولا بد من الانتصار للإسلام في المواجهة الحربية المذكورة ولو اقتضى ذلك قتل الأخ أخاه^(١).

فعلاقة الإيمان فوق كل علاقة، وفوق كل حسب ونسب:
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢)، وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٣)، ومن

(١) خطبة الجمعة (٥٣٠) ٨ محرم ١٤٣٤هـ - ٢٣ نوفمبر ٢٠١٢م.

(٢) سورة التوبة: ٧١.

(٣) سورة الحجرات: ١٠.

حاكمية هذه العلاقة

قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾^(١)، وفي آية أخرى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢).

وعلاقة الإيمان إنما تدخل في تراحم وتعارض مع العلاقات الأخرى حين تأخذ تلك العلاقات منحى غير منحى الإيمان وتضاده. ولو ركزت قاعدة الأخوة الإيمانية في الحياة لانسجمت كل العلاقات معها ولم يتناف منها شيء معها.

علاقة الإيمان تدعو لعلاقات إيجابية في كل الدوائر الصغيرة والكبيرة، وتوظف كل هذه العلاقات من أجل كمال الإنسان ورفعته وسعادته^(٣).

«رب أخ لك^(١) لم تلده أمك»^(٢) ربما كان أصدق أخوة من أخيك من صلب أبيك، ورحم أمك، يكون لك عند كل شدة، يحفظ

(١) سورة النساء: ١٣٥.

(٢) سورة التوبة: ٢٤.

(٣) خطبة الجمعة (١٨٩) ٢٣ محرم ١٤٢٦هـ - ٤ مارس ٢٠٠٥م.

عيبك، يستر عورتك، يذود عنك، يسرُّ لقاءه، لا يبخل عليك بشيء إلا ما أمر الله ﷻ بالبخل به وهو العرض والدين. والأخوة الإيمانية إذا صدقت عند الاثنيين، وتحققت بينهما رابطة الإيمان فعلاً كانت القاعدة والأساس المتين الذي تقوم عليه المعاملات الصالحة والتفاني في سبيل الآخر.

لقد كان الواحد من أصحاب رسول الله ﷺ عند لحظة الاستشهاد وهو في أشدّ حالات العطش يقدم صاحبه على نفسه بالماء^(٣).

وقد حثت الأحاديث على طلب هذه الأخوة، وشددت على قيمتها الخاصة، والاعتزاز بها، وعدم التفريط فيها تأكيداً على رابطة الإيمان، وإعطائها حضوراً منتشرراً قوياً فاعلاً في حياة الناس؛ لتكون للإيمان كلمته العليا، وتنطبع أجواء المجتمع الإنساني بطابع العلاقات الإيمانية المشرقة المشعة الصادقة التي هي الأقدر على توحيد الناس، وإذابة الفوارق، ورفع الحواجز، والدفع إلى الخير، والنأي بالإنسان عن الشر^(٤).

(١) "لك": ليست في المصدر.

(٢) غرر الحكم و درر الكلم، الأمدي، ص: ٣٨٣.

(٣) خطبة الجمعة (٢٦٥) ٨ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٦م.

(٤) خطبة الجمعة (٣٤٦) ٢٢ ذو القعدة ١٤٢٩هـ - ٢١ نوفمبر ٢٠٠٨م.

الأخوة الإيمانية جعل تشريعي وتكويني

هناك جعلٌ تشريعي للأخوة بين المؤمنين تترتب عليها آثار شرعية من حقوق وواجبات:

١- من آيات الكتاب في أخوة الإيمان:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ...﴾^(١)، ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ...﴾^(٢)، ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فِإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ...﴾^(٣).

فالأخوة الإيمانية التي هي محلُّ للاعتبار الشرعي تترتب عليها آثار عملية في النظر الشرعي نفسه^(٤).

٢- ومن الحديث الشريف في هذا الأمر:

ما عن الرسول ﷺ: «المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله»^(١)، «المؤمن أخو المؤمن»^(٢)، «المسلم أخو المسلم»^(٣).

(١) سورة الحجرات: ١٠.

(٢) سورة التوبة: ١١.

(٣) سورة الأحزاب: ٥.

(٤) ولا يكون هذا الاعتبار إلا من أجل هذه الآثار. «منه حفظه الله»

وترتبَ على الاعتبار الشرعي للأخوة الإيمانية التوارث بين كلِّ اثنين آخى بينهما رسول الله ﷺ في المدينة. وامتدَّ ذلك حتى نسخَ هذا المحكم بآية الميراث التي جعلت أساسه صلة الرَّحم وذلك بعد أن تحسَّن الوضع المعيشيُّ في حياة المسلمين^(٤).

وهذا الأمر ليس مجرد اعتبار، إنَّه واقع تكويني لا تراه العيون، ولكن تشعر به الأرواح تماماً. وربما كان هناك اعتبار للأخوة الإسلامية بقصد أن تترتب أحكام شرعية على هذه الأخوة إن لم تكن مترتبة أصلاً على ما هو الواقع منها^(٥).

الدليل على كونها جعلاً تشريعياً وواقعياً:

نجد بعض النصوص التي يظهر منها اعتبار الأخوة الإيمانية في الإسلام وأنَّ هناك أخوةً مجعولة بقصد أن تكون أرضية أحكام تثبت في حق الأخ لأخيه. فيما كتب العسكري عليه السلام إلى أهل قم وآبته: يقول العالم سلام الله عليه إذ يقول: «المؤمن أخو المؤمن لأُمَّه

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٦٠، ص ٧١، ط ٢ المصححة.

(٢) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ١٦٦، ط ٤.

(٣) الكافي، الكليني، ج ٤، ص ٥٠، ط ٣.

(٤) خطبة الجمعة (٥٢٩) ١ محرم ١٤٣٤هـ - ١٦ نوفمبر ٢٠١٢م

(٥) خطبة الجمعة (٢٦٤) ٣٠ ذي القعدة ١٤٢٧هـ - ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٦م.



وأبيه»^(١). المؤمن قد

لا تكون له أي صلة نسبية متعارفة بينه وبين أخيه المؤمن فكيف يكون أخاً له من أبيه وأمه لولا الاعتبار والتنزيل. يريد الحديث أن يقول: إنَّ أخاك المؤمن منزَّل ومعتبر أخاً لك من أمك وأبيك فانظر إلى حقِّ أخيك من أمك وأبيك عليك فهو مترتب لأخيك المؤمن إلا ما استتني بالنص كالإرث مثلاً.

أيضاً «إنما المؤمنون إخوةٌ بنو أب وأمٍّ، وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون»^(٢) وليس المعني بالأب والأم هنا هو آدم؛ لأنَّ الأخوة من آدم لا تقتصر على دائرة المؤمنين بل تعمُّ كلَّ الناس. فنجد في هذا الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام كذلك لغة الاعتبار للأخوة الإيمانية. وهذا الاعتبار كما سبق لا يأتي اعتباطاً، وإنما يأتي بقصد ترتيب أحكام شرعية على موضوع الأخوة المعتبرة، فنجد في الحديث عن الكاظم عليه السلام شيئاً من هذه الأحكام: «المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله - كيف تخدمك عينك فتدراً عنك مخاطر الطريق؟ المؤمن عينك يدراً عنك مخاطر الطريق، وكلما عثر على خطورة في الطريق لم يترك لك أن تقع فيها - لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه - هي حقوق من حقوق الأخوة النسبية وكذلك

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٤٢.

(٢) المصدر نفسه.

هي حقوق من حقوق الأخوة الإيمانية. ثم يقول الحديث - ولا يعده عدة فيخلفه»^(١).

ونقرأ عن الصادق عليه السلام أيضاً: «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد أن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك منه في سائر الجسد وأرواحهما من روح واحد»^(٢)، هي روح الإيمان، روح التوجه إلى الله، هي نفخة الروح المتبقية في داخل الاثنين والمتلاثة في عقلهما، وأفطار نفسيهما. جسد واحد يتداعى بعض أعضائه لمشكلة البعض الآخر، وتسهر كل أعضائه من أجل سهر عضو واحد، المجتمع المؤمن لا يهدأ وفيه مؤمن مظلوم، المجتمع المؤمن لا يهدأ وفيه عضو فقير، المجتمع المؤمن لا يهدأ وأحد أعضائه في مشكلة يمكن أن تزاح عنه.

انظروا إلى العلاقة الواقعية بين قلبي المؤمنين: «لكل شيء شيء يستريح إليه، وإن المؤمن ليستريح إلى أخيه المؤمن كما يستريح الطير إلى شكله»^(٣)، هذه ليست علاقة اعتبارية، هذا ليس أمراً مجعولاً بالجعل الشرعي، إنما هو أمر مغروس في القلب، أمر داخل في

(١) المصدر نفسه.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٤٢.

(٣) المصدر نفسه.



تكوين الروح، أمر ينطوي عليه كيان الإنسان المؤمن، وهو ذلك الذي يجعله ينشد قلبه وتتهافت روحه على روح المؤمن الآخر.

يقول الحديث عن الرسول ﷺ: «إنَّ المؤمن ليسكن إلى المؤمن كما يسكن قلب الظمآن إلى الماء البارد»^(١) ما آمن قلبان إلا والتقيا وتآلفا، ما آمن قلبان إلا واستراح أحدهما للآخر، ما آمن قلبان إلا واطمأن واستأنس أحدهما للآخر، بحكم ذلك الوجود المعنوي المشترك بينهما. «المؤمنون أخوة تتكافئ دماؤهم وهم يد على سواهم يسعى بذمتهم أدناهم»^(٢)، هذا الحكم أرضيته وموضوعه الاعتبار، ففي الإسلام أخوة شرعية تقتضي أن تتكافئ دماء المسلمين وتقتضي أن يكونوا يداً واحدة على من سواهم وأن يسعى بذمتهم أدناهم^(٣).

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٤٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) خطبة الجمعة (٢٦٤) ٣٠ ذي القعدة ١٤٢٧هـ - ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٦م.

ما هو المحقق لمفهوم الأخوة شرعاً؟

يكفي في ترتب عددٍ من الحقوق والآثار الكريمة الاتصاف الظاهري ولو بأول درجة من الدرجات في سلم الإيمان الصاعد؛ وذلك بأن يشهد الشخص بالشهادتين من دون أن يقوم دليل على ارتداده.

من هو المعنيُّ بالأخوة في قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١)؟

١- المخاطبون بالقيام بالإصلاح في الآية مخاطبون حسب

علمهم الظاهري بإيمان المقتتلين، وما هم عليه من إيمان ظاهر.

٢- وهؤلاء المقتتلون مؤمنون حسبما يفهم قوله ﷺ الذي

قبل هذه الآية: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا

...﴾^(٢)، وهؤلاء قد يكون منهم من هو ضعيف الإيمان وقوي الإيمان،

وصادق الإيمان في داخله، وكاذب الإيمان، وحديث الإيمان، وقديم

الإيمان، والمتقي والفاسق، والظالم والمظلوم، ومن هو على إيمان صافٍ،

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) الحجرات: ٩.

فالتائفتان المقتتلتان وصفتهما الآية بأنهم مؤمنون. «منه حفظه الله»

ومن كان إيمانه دون ذلك بدرجات^(١). ورغم كل ذلك فهم حسب ظاهرهم محكوم عليهم بأنهم مؤمنون.

والطائفتان معاً بحسب ما عليه ظاهرهم الإيماني بمستوياته المختلفة حتى في ما يدلّ عليه الظاهر، وبواقع ما هم عليه في الباطن الذي لا يعلمه إلا الله، ومن أعلمه الله بغيب ذلك إخوة للمأمورين بالصلح بينهما. وذلك يعني أخوة الأطراف الثلاثة بالأخوة الإيمانية التي يترتب عليها واجب الصلح وإنهاء القتال.

وبهذا تثبت أخوة إيمانية عامة تشمل كل هذه المستويات ما دام الإسلام الظاهري محفوظاً.

وهذه الأخوة تترتب عليها حرمة النفس والمال، والنصيحة، والنصرة بمعنى دفع الظلم عن المظلوم، ونهي الظالم عن ظلمه، ورد السلام، وغير ذلك من الحقوق^(٢). وقد تقدمت في الخطبة السابقة أحاديث بهذا الشأن^(٣).

(١) ولو دخل الإسلام قبل ساعتين أو ساعة واحدة وبفهمه الأولي للإسلام

فقد أطلقت عليه الآية الكريمة بأنه مؤمن. «منه حفظه الله»

(٢) خطبة الجمعة (٥٣٠) ٨ محرم ١٤٣٤هـ - ٢٣ نوفمبر ٢٠١٢م.

(٣) سيأتي تحت عنوان «حقوق الأخوة في الله».

النظر إلى الأخ في

الله بمودة عبادة

تجدون أن الإسلام يعتزُّ بالأخوة في الله اعتزازاً كبيراً، حتى يعدُّ هذه الأخوة عبادة، «النظر إلى الأخ في الله عزَّ وجلَّ تَوَدُّه عبادة»^(١).

العبادة بمعناها الواسع تشمل كل خطوة قويمية، وكل عمل نافع، وكل ما يبني الإنسان أو يبني أوضاعه بناءً صحيحاً إذا كان المقصود من ذلك وجه الله تبارك وتعالى. أيَّ عمل حسن تقصد به وجه ربك الكريم فهو عبادة ولا عبادة لله ﷻ إلا بما هو حسن. والنظر إلى الأخ نظرة مشبعة بروح المودة والمحبة إذا كان ذلك من أجل الله ﷻ يكتب لك عبادة^(٢).

نظرك لأخيك المؤمن:

- ١- يُثَبِّت العلاقة بينكما، ويدفع بها إلى الأمام.
- ٢- ولأنَّها نظرة الحبِّ الخالص التي تقوم على طهر الإيمان، والصفاء والصدق، فهي قادرة على صنع المشاعر الكريمة في نفس الآخر، وعلى أن تنبت مشاعر حبِّ مماثلة لا بدَّ أن تطفح في تعامل الآخر معك.

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٤٠.

(٢) خطبة الجمعة (٢٦٥) ٨ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٦م.

لا يكفي أن تنشئ أخوة مع الطرف الآخر من المؤمنين، وإنما يُراد لك أن ترعى هذه الأخوة وحقوقها، وأن تغذيها وتسقيها من أجل أن تترعرع شجرتها. وإنه يراد لك أن تقوي هذه العلاقة، أن تكون شجرة وارفة الظل، ومثالاً حياً للعلاقات الإنسانية الكريمة من أجل أن ينتشر النموذج الطيب الرائع لهذه العلاقات في المجتمع المؤمن ليكون أقوى مجتمع، وأطهر مجتمع، والمجتمع النموذجي الذي يشع بالخير على كل العالم^(١).

(١) خطبة الجمعة (٣٤٦) ٢٢ ذو القعدة ١٤٢٩هـ - ٢١ نوفمبر ٢٠٠٨م.

الأخوة الحقيقية علامة التشيع

عن عثمان بن عيسى، عن محمد بن عجلان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل رجل فسلم، فسأله: «كيف من خلفت من إخوانك؟» قال: فأحسن الثناء وزكى وأطرى^(١)، فقال له: «كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم»^(٢)؟ فقال: قليلة، قال عليه السلام: «وكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم»^(٣)؟ قال: قليلة، قال عليه السلام: «فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟» فقال: إنك لتذكر أخلاقاً قلَّ ما هي فيمن عندنا، قال: فقال عليه السلام: «كيف تزعم أن هؤلاء شيعة»^(٤).

الحديث واضح، وعلينا أن نقيس أنفسنا إلى ما يريدہ الإمام عليه السلام منا، وما يعنيه أهل البيت عليهم السلام من معنى الشيعة والتشيع.

(١) الرجل أطرى إخوانه وأصحابه للإمام عليه السلام، والإطراء التجاوز في الثناء كما في الكافي. «منه حفظه الله»

(٢) هل يعودون عليهم بعبء مجزٍ كافٍ، بصلة؟ «منه حفظه الله»

(٣) زيارة، غشيان بيت، إلخ. «منه حفظه الله»

(٤) شرح أصول الكافي، ج ٩، ص ٤٧.

علينا أن نتعلم أن على المؤمنين الأخذ بالتعاون والتراحم وتذويب الطبقة الاجتماعية؛ ليبنوا من وجودهم صفاً متيناً قوياً البناء ليعم هذا البناء كل مسلم، وكل مسلمة، ويكون المجتمع المسلم القوي الواحد بشيعيه وسنييه، وكلما علت مرتبة الإسلام والإيمان عظم الحق.

عن أحمد بن النضر، عن أبي إسماعيل قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك إن الشيعة عندنا كثير فقال: «فهل يعطف الغني على الفقير؟ وهل يتجاوز المحسن عن المسيء؟ ويتواسون؟» فقلت: لا، فقال: «ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من يفعل هذا»^(١).

وأظننا أننا استبدلنا عن هذا السب والشتم والتجريح، وأن يأكل أحدنا من لحم الآخر، ويحاول دائماً أن يسقطه.

قال أبو جعفر عليه السلام: «أيجيء أحدكم إلى أخيه فيدخل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟» فقلت: ما أعرف ذلك فينا^(٢)، فقال

(١) المصدر نفسه: ٤٨.

(٢) هذا خلق بعيد عن مسلكنا. «منه حفظه الله»

أبو جعفر عليه السلام: «فلا

شيء إذا^(١)، قلت: فالهلاك إذا^(٢)، فقال: إن القوم لم يعطوا أحلامهم بعد^(٣).

لم تنبن عقولهم، يعني قومنا بلا عقول تدرك الحقيقة، وتتجاوز عن صغائر الدنيا وتفاهاتها، ويمتد بها النظر إلى كرامات الله.

وكيف يدخل شخص يده في جيب أخيه يأخذ منه ما يريد؟ عن عدوانية؟ عن غش؟ عن اختلاس؟ لا، إنها الروح الطاهرة التي لا يحتمل صاحب الجيب فيها شيئاً من ذلك، لم يستقبل الطرف الآخر هذا بالترحاب؟ لأنه يدرك من أخيه أنه فوق كل الدنيا، فوق أن تغريه الدنيا فضلاً عن شيء بسيط من المال من جيب صاحبه. إنه يدرك أنها إما الحاجة وإما لطيفة من لطائف الإخوان مع بعضهم البعض، إنه يدرك من أخيه الثقة التامة في صاحب الجيب، ويدرك

(١) ما عندكم من التشيع شيء، بنيتكم ليست بنية قرآنية، الخلق ليس خلق أهل البيت عليهم السلام. «منه حفظه الله»

(٢) إذا لم يكن خلق إسلامي متين، ورؤية إسلامية، ومشاعر إسلامية إيمانية تبني أخوة متينة فالهلاك إذاً في دنياكم قبل أفعالكم. «منه حفظه الله»

(٣) المصدر نفسه: ٤٨.

من أخيه رفعة خلقه، وأنّه على شعور واحد معه في التنزّه عن
قذارات الدنيا^(١).

(١) خطبة الجمعة (٣٥٨) ١ ربيع الأول ١٤٣٠هـ - ٢٧ فبراير ٢٠٠٩م.

مودجیة الأخوة الإیمانیة

عن أبی جعفر عليه السلام قال: «من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يُشبع جوعته ويواري عورته ويفرّج عنه كربته ويقضي دينه، فإذا مات خلفه في أهله وولده»^(١).

لا توجد صورة من التكافل أوسع، وأصدق، وأصلب أرضية، وأكثر امتداداً من هذه الصورة التي لا تقتصر على إشباع الجوعة، وستر العورة، وقضاء الحاجات المادية، إنما تتعدى ذلك لتفريج أي كرب من أي نوع تملك أن تفعل معه شيئاً لتخرج أخاك المؤمن من ضيقه وضغطه وأزمته «ويفرّج عنه كربته ويقضي دينه».

ثم هل ينساه من بعد موت؟ لا، العلاقة ليست علاقة دنيوية، ولا علاقة مجاملات، ولا علاقة سطحية، العلاقة متجذرة، ونابعة من وعي مكين، ومن شعور وثيق، وهو الشعور الإيماني، فلذلك يمتد التكافل إلى ما بعد حياته ليرفع كربات من خلف، ويقضي حاجاتهم.

فنحن أمام أي مجتمع راقٍ، وأمام أي مجتمع متماسك، وأي مجتمع قوي يستطيع أن يناهض الدنيا كلها، ويضعها على الطريق القويم!!

(١) شرح أصول الكافي، ج ٩، ص ٤٠.

المجتمع المؤمن لو أخذ بمثل هذه الأحاديث الكريمة المشعة لكان من خلال واقعه أكبر داعية للإسلام، وكان المنارة المشعة التي تجذب قلوب العالم من الشرق والغرب، ومن أي نقطة وزاوية في العالم.

العالم يبحث عن مجتمع نموذجي، عن مجتمع إنساني كريم، وليس هناك من أطروحة تستطيع أن تقدم لمجتمع من صناعتها مثل هذه الصورة المتناسكة المشعة، الراقية، الإنسانية المتفردة.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ لَا يَشْبَعَ وَجُوعُ أَخُوهُ، وَلَا يَرَوَى وَيَعْطَشُ أَخُوهُ، وَلَا يَكْتَسِي وَيَعْرِى أَخُوهُ، فَمَا أَعْظَمَ حَقَّ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، وَقَالَ: أَحَبُّ لِأَخِيكَ الْمُسْلِمِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَإِذَا احْتَجَّتْ فَسَلَّهُ، وَإِنْ سَأَلَكَ فَأَعْطَهُ لَا تَمَلَّهُ خَيْرًا وَلَا يَمَلَّهُ لَكَ، كُنْ لَهُ ظَهْرًا فَإِنَّهُ لَكَ ظَهْرٌ، إِذَا غَابَ فَأَحْفَظْهُ فِي غَيْبَتِهِ، وَإِذَا شَهِدَ فزُرْهُ وَأَجَلَّهُ وَأَكْرَمْهُ فَإِنَّهُ مِنْكَ وَأَنْتَ مِنْهُ، فَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ عَاتِبًا فَلَا تُفَارِقْهُ حَتَّى تَسْأَلَ سَمِيحَتَهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ فَاحْمَدِ اللَّهَ، وَإِنْ ابْتَلِيَ فَأَعْضُدَّهُ وَإِنْ تَمَحَّلَ لَهُ فَأَعْنَهُ، وَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: أُوَيْ، أَنْقَطِعَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْوَلَايَةِ، وَإِذَا قَالَ: أَنْتَ عَدُوِّي كَفَرَ أَحَدُهُمَا، فَإِذَا اتَّهَمَهُ انْمَاثَ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ كَمَا يَنْمَاتُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ» وَقَالَ: بَلَّغْنِي أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِيَزْهَرُ نُورُهُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تَزْهَرُ نَجُومُ السَّمَاءِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ»، وَقَالَ:

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ وَلِيُّ اللَّهِ
يُعِينُهُ وَيَصْنَعُ لَهُ وَلَا يَقُولُ عَلَيْهِ إِلَّا الْحَقَّ، وَلَا يَخَافُ غَيْرَهُ»^(١).

ما أعظمها من درجة في التفاني، في الإخلاص، في الوفاء، في الإحساس الكريم بالآخر. يتحول المسلم في نفس أخيه المسلم إلى الحد الذي يكون بمنزلة نفسه، شعوره اتجاه أخيه المسلم هو شعوره اتجاه نفسه من حيث رعاية المصالح، ودرء المفاسد، وحب الخير، وبغض الشر.

«وإذا احتجت فسله إنه أخوك بل نفسك، فلا حاجز ولا حرج، وإن سألك فأعطه، لا تمله خيراً، ولا يمله لك» أي: لا تنسى، ولا تؤجل خيراً تجريه له على يدك، ولا يؤخر خيراً يجريه على يده لك، أو لا تمله خيراً ولا يملك خيراً بمعنى لا تسأم من خير كثير تسديه إليه، ولا يسأم من خير مثله يسديه إليك.

«كن له ظهراً فإنه لك ظهر، إذا غاب فاحفظه في غيبته، وإذا شهد فزره، وأجله وأكرمه، فإنه منك وأنت منه، فإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتى تسأل سميحته» بمعنى تطلب تجاوزه وسماحه وعفوه.

(١) شرح أصول الكافي، ج ٩، ص ٤٣.

«وإن أصابه خير فاحمد الله، وإن ابتلي فأعضده، وإن تمحل^(١) له فأعنه» إذا أصابه كيد من أحد فلا بد أن تكون سنده، ويده، ورجله، وتضم قوتك إلى قوته دفاعاً عنه حيث يكون موقفه موقف حق ضد باطل.

«وإذا قال الرجل لأخيه أف انقطع ما بينهما من الولاية»، فهي علاقة مقدسة شفافة كريمة أكيدة وراسخة لا تحتل أي خدشة بين المؤمنين، أو أي مس، وأي خدشة.

فإذا كانت «أف» تمثل خدشة صغيرة، وتمثل مقاربة فيها شيء يسير من أذى، فـ«أف» تكبر وتعظم قبلاً حين تأتي على خط العلاقة بين مؤمنين بلحاظ قدسية وعظمة وشرف هذه العلاقة، وعدم قبولها الخلل ولو كان من اليسير عند الناس.

«وإذا قال أنت عدوي كفر أحدهما» كيف يكون عدوك وهو مؤمن؟ لا يكون الطرف الآخر عدوك حتى يخرج من الإيمان، فإذا كان الطرف الآخر غير مؤمن كنت في كلمتك غير مأثوم حيث يكون عدوك بلحاظ كونه كافراً، ولو كان أخوك على إيمانه فكأنك تشهد على نفسك بأنك خرجت عن الإيمان، ولذلك قامت العداوة بينكما.

(١) بمعنى كيد ضده. «منه حفظه الله»

قد تكون
خلافات على أمر صغير أو كبير بين مؤمن ومؤمن، أما العداوة
الحقيقية فلا تكون بين مؤمنين.

«فإذا اتهمه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء»
إذا لم تكن التهمة صادقة وكان هذا الذي قال لصاحبه أنت عدوي
كاذباً فيما تستلزمه كلمته من كفر الطرف الآخر انماث الإيمان في
قلب القائل بسبب كلمته، بمعنى أنه يذوب وينتهي كما يذوب الملح
في الماء.

وقال: «بلغني أنه قال: إنَّ المؤمن ليزهر نوره لأهل السماء كما
تزهر نجوم السماء لأهل الأرض، وقال: إنَّ المؤمن ولي الله يعينه
ويصنع له»، أي: الله ﷻ يعين هذا المؤمن، ويصنع له، وكفى بصنع
الله منقذاً وحارساً ومغنياً. أي يحوطه بعنايته، ويتولّى أمره^(١).

الأخوة في الله تنافسٌ على المودة:

تقول الكلمة عن علي عليه السلام: «لا يكون أخوك أقوى منك
على مودته»^(٢) هو يودك وأنت تقصر في مودته، فأنت أقل الأخوين

(١) خطبة الجمعة (٣٥٧) ٢٤ صفر ١٤٣٠هـ - ٢٠ فبراير ٢٠٠٩م.

(٢) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلمي، ص ١٧٨.

شأناً، وأخوك أكبر منك في هذه الأخوة حظاً، ومن التنافس على الخير أن تسابقه على المودة وإخلاصها.

«من حُبَّ الرجل دينه حبه أخاه»^(١) عن الصادق عليه السلام، حقاً إذا كنت أحب الدين فلا بد أن أحب القلب المتلألئ بالدين، وإذا وجدت نفسي لا أحب مثل تلك القلوب فإن قلبي لم يتلأأ فيه نور الإيمان بقدر ما يكفي.

أنجد هذا الأثر لنعرف من أنفسنا صدق الأخوة في الإيمان وصدق قضية الإيمان في داخلنا؟ ولنستعرض النفس أمام مضمون هذا الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا وإن المؤمنين إذا تحابوا في الله عز وجل وتصافوا في الله كانا كالجسد الواحد إذا اشتكى أحدهما من جسده وجد الآخر ألم ذلك»^(٢) هل آماننا مشتركة على مستوى القلب؟ هل أفراحنا مشتركة على مستوى القلب؟ هل آمالنا مشتركة على مستوى القلب؟ إن كان ذلك فنحن نعيش أخوة الإيمان وإلا فلا.

حديث مفصل عن العسكري عليه السلام: «حب الأبرار للأبرار ثواب للأبرار» - أنت برٌّ وأخوك برٌّ، حب أحدكما للآخر ثواب لكلٌّ

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٤٤.

(٢) المصدر نفسه.

منكما، فهذه الأخوة يرتب عليها الإسلام العظيم ثواباً أخروياً - «و**حبّ الفجار للأبرار فضيلة للأبرار**» - لمجاذبية في الأبرار، لأخلاقية في الأبرار، لنورانية وهدى في الأبرار قد ينجذب الفجار ل**حبّ الأبرار** وفي هذا فضيلة للأبرار - «و**بغض الفجار للأبرار زين للأبرار**» - على حدّ وإذا أتتكم مذمّتي من ناقص - «و**بغض الأبرار للفجار خزي على الفجار**»^(١)، الأبرار لا يبغضون بغضاً جاهلياً، الأبرار لا يبغضون عن حقد، عن تنافس على الدنيا، قلوب الأبرار طاهرة متألّثة مضيئة فهي لا تبغض إلا من بعد عن الله ﷻ، وفي ذلك شهادة على سقوط الفجار^(٢).

(١) المصدر نفسه.

(٢) خطبة الجمعة (٢٦٤) ٣٠ ذي القعدة ١٤٢٧هـ - ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٦م.

مقامات الأخوة في الله

المقام الأول: الأخ في الله أرحم من الآباء والأمهات

الأخ المكتسب في الله أخلاقه أخلاق إسلامية، روحه طاهرة، قلبه شفاف بالإيمان، سلوكه زكي رضي، والمقصود من أخوته لك هو القرب إلى الله ﷻ، وهذا الأخ تقول عنه كلمة علي ؑ: «الأخ المكتسب في الله، أقرب الأقرباء، وأرحم من الأمهات والآباء»^(١) وقد يكبر هذا المعنى علينا، ليس من عاطفة أحر من عاطفة الآباء والأمهات بالنسبة للأولاد، وليس من قلب يحترق كما يحترق قلب الوالدين لولدهما، فكيف يكون أخ من الهند أو من أمريكا أو من روسيا أخيته في الله أرحم علي من أبي وأمي؟!

السؤال هنا يثار -ومن حق حياتنا المألوفة أن تنير هذا السؤال- لكن لو التفتنا فإن الحديث يقول: إن هذا الأخ المكتسب مكتسب في الله، والأخ المكتسب في الله صفاته ما تعرفون من تقوى ومعرفة وقرب لله ﷻ. والمقايسة بين هذا الصديق، بين هذا الأخ وبين الأمهات والآباء بما هم أمهات وآباء فحسب، وليست المقايسة بين أخ في الله وأب هو من أهل الله، بين أخ في الله وبين أم هي من أهل الله تعالى، المقايسة بين أخ في الله وأم بما هي أم، المنظور فيها

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٤٦.

أنها أم فقط، وبين أب المنظور فيه أنه أب فقط، وكم من أب ساق ولده إلى النار، وكم من أم ساق ولدها إلى النار من خلال العاطفة البسيطة المجنونة، والرؤية القصيرة والقلب الخبيث. إذن لأخ في الله يكون في أحيان كثيرة أرحم من الأمهات والآباء^(١).

المقام الثاني: معنى «المؤمن أخ المؤمن لأمه وأبيه»؟

قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنما المؤمنون إخوة بنو أب وأم، وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون»^(٢).

كيف يكون المؤمنون بني أب وأم دون غيرهم من الناس؟ آدم وحواء أب وأم لكل الناس، مؤمنين وغير مؤمنين، فمن أين جاء الأب والأم اللذان يشتركان في التحدرّ منهنّ المؤمنون خاصّة؟

من تفاسير ذلك أنّهما نفخة الروح الإلهية، والطينة الطاهرة، والماء العذب الذي كان منه هذه الطائفة من الناس. الروح الإيمانية تجمعهم عقولاً وقلوباً، تجمعهم أفكاراً ومشاعر، ويشتركون من خلال نفخة الروح، وتميّز الطينة في النهج الإيماني الواحد، والمشاعر الطاهرة الملتحمة. ونسأل هنا: وليس للآخرين نفخة روح؟! بلى، لهم نفخة روح، ولكن لم يحتفظوا بها، وعقّوا هذا النوع من الصلة،

(١) خطبة الجمعة (٢٦٥) ٨ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٦م.

(٢) شرح أصول الكافي ج ٩ ص ٣٣.

وتخلّوا عنها، فيمكن أن نكمل الرأي بهذه الإضافة. وهناك تفاسير أخرى لاشتراك المؤمنين بالخصوص في أب وأمّ دون غيرهم.

ويترتب على هذا أن هناك أباً وأمّاً أشرف من الآباء والأمهات الذين يشترك فيهم الأبناء من ناحية مادية، فإذا هذه الإخوة القائمة على هذا الأصل ينتج عنها إلى جانب الحقوق المعروفة بين الناس حقوقٌ خاصة تقوم على أرضية الإيمان، وتتعلّق بعطره، وتتشرّف بشرفه. هذه الصلة المؤكّدة والتميّزة بشرفها وعلوّها تفرض حقوقاً خاصة على هؤلاء الناس المشتركين في هذا النوع من الأخوة. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المؤمن أخو المؤمن...»، وهذا العنوان غير «الإنسان أخو الإنسان». وحين يأتي: «المؤمن أخو المؤمن» فهذا نوع من الأخوة الخاصة التي ملاكها الاشتراك في الإيمان. فإذا كانت هناك أخوة ملاكها الاشتراك في النوع الإنساني، فهذه أخوة مضافة ملاكها الاشتراك في أساس الإيمان، وهي أخوة عالية القدر، سامية المكانة، تتصل بجانب الروح وهو الجانب الأسمى في ذات الإنسان^(١).

(١) خطبة الجمعة (٣٥٦) ١٧ صفر ١٤٣٠هـ - ١٣ فبراير ٢٠٠٩م.

خصوصية الأخوة القديمة:

- ١- أخ عشت أخوته ردحاً طويلاً من الزمن، فخبرتة وخبرك، ورضيت به ورضي بك.
- ٢- أخ جديد، تجربتك معه لازالت طرية، لم تتوغل في معرفة شخصيته إلى الحد المطلوب.

هنا تقول الكلمة عن عليّ عليه السلام: «اختر من كل شيء جديده، ومن الإخوان أقدمهم»^(١) طبعاً ممن عشت معهم الزمن الطويل، ورأيت منهم ما يطمع في صداقتهم من ناحية العقل، والحكمة، وطهارة النفس، وحسن السيرة.

تصل الكلمة عنه عليه السلام إلى أكثر من ذلك فتقول: «من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه، وحينه إلى أوطانه، وحفظه قديم إخوانه»^(٢).

البكاء على ما مضى من الزمن ليس بكاء السذج، وبكاء من يريد أن يبقى في الأرض طويلاً بأيّ ثمن وعلى أيّ حال، هو بكاء على ما فرط من زمن لم يستثمره بالكامل في طاعة الله تبارك وتعالى، على زمن سجل عليه ما شاء الله من السيئات ولا يدري ما

(١) غرر الحكم، الآمدي، ص ١٤٨.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٥٢.

حفظ له من

الحسنات. يأتي بعد ذلك الحنين إلى الأوطان، الحنين إلى الأوطان، وأنه من شيمة الرجال، ومن كرم الرجال. والأوطان ليست حبات رمل ولا شجراً أو أي شيء من جماد في قطعة محددة من الأرض تحن إليها، إنما الأوطان قبل ذلك وأهم من ذلك رجال صالحون، ونساء صالحات، وسجايا كريمة، وفكر قويم، وعدل اجتماعي، وصلاح وكمال إنساني. وإلا فإن خير الأوطان ما حملك كما في كلمة أخرى له عليه السلام. إذا كان وطني روسيا، وأعيش غربة الفكر، وغربة الإيمان، وأعيش مطارداً في أممي، وأعيش مهدداً في ديني، وأعيش على حساب إنساني، فلا بد أن أبحث عن وطن آخر غيره. صحيح أننا من خلال مرتكزاتنا الفطرية، بارتباط حياتنا بقطعة من الأرض نميل إليها ونحن إليها، لكن العقل فوق كل شيء، والدين فوق كل شيء.

«ما أكثر الإخوان عند الجفان -موائد الطعام- وأقلهم عند

حادثات الزمان»^(١)، الغني يمتلي مجلس استقباله بالناس، وتتدفق عليه فئات المجتمع ما دامت ولائمه عامرة، أما وأن زمانه قد تبدل،

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٥٢.

وأصيب الرجل بظرف جديد فيه شحّ، ترى الناس تنساه، وتدبر عنه^(١).

في وصف المؤمن: «يعطف على أخيه بزُلته، ويرعى ما مضى من قديم صحبته»^(٢)، زلّة القدم بالذنب ضعف، ومرض، والضعيف والمريض محل العطف والشفقة والرحمة، وليس محل الشماتة والهزاء والسخرية والتشهير. لا يكشف ذنب عن مؤمن إلا لحكم شرعي واضح، وفي موضع تقتضي مصلحة الشريعة أن يفعل ذلك، وما استطاع المؤمن الستر على أخيه وجب عليه الستر. ومن صدق الأخوة أن يرعى قديم صحبته حتى في عقبه، فينتقل الودّ والبرّ للأخ المؤمن إلى عقبه من بعده. وتوقف الصداقة لا يلغي حقّ ما سبق منها^(٣).

إخوان الصدق:

هناك أخوة إيمانية مشتركة بين كل المؤمنين، وهناك أخوة مضافة قوامها التعارف الشخصي، وتمتد العلاقة الخارجية بالصلة والحضور الدائم في مشكلة الطرف الآخر، والاقتراب الكبير من

(١) خطبة الجمعة (٢٦٧) ٢٢ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ١٢ يناير ٢٠٠٧م.

(٢) الحديث عن الرسول ﷺ. ميزان الحكمة ج ١ ص ٥٥-٥٦.

(٣) خطبة الجمعة (٢٦٨) ٢٩ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ١٩ يناير ٢٠٠٧م.



واقعه الفكري

والنفسى والعملى لىكون التعاون والتناصر. هؤلاء تسمىهم الأحاديث بـ«إخوان الصدق»، «عليك ياخوان الصدق، وأكثر من اكتسابهم فإنهم عدّة عند الرخاء وجنة عند البلاء»^(١) إن لم تكن لك عشيرة أو كانت عشيرتك غير مستعدة لأن تشاركك حمل أعباء حياتك، وأن تشاركك حمل همومك، وأن تقف معك في المواقف المرهقة فإنّ هناك طريقاً مفتوحاً تكتسب من خلاله إخوان الصدق؛ ليكونوا أصدق موقفاً معك من كثير من ذوي العلاقة عن طريق النسب. هؤلاء هم مواصفاتهم بأن يكونوا مؤمنين، بأن يكونوا أخلاقيين بشكل مجمل، بأن يتحلّوا بأخلاق الإسلام، وأن يتزيّنوا عملاً بزينة الإيمان^(٢).

(١) المصدر نفسه.

(٢) خطبة الجمعة (٢٦٤) ٣٠ ذي القعدة ١٤٢٧هـ - ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٦م.

من هو خير الإخوان ومن هو شرهم؟

خير الإخوان:

١- «خير إخوانك من عَنَّفَكَ في طاعة الله سبحانه»^(١)، إخوة الإيمان لا تقوم على المجاملات الكاذبة الضارة؛ لا بدّ من مداراة، ولا بدّ من تنازلات، ولا بدّ من تغافل، لكن أن ترى أخاك يسقط شيئاً فشيئاً في شخصيته، يسعى به الشيطان حثيثاً إلى المعصية وأنت تتفرج، فإنها الأخوة الكاذبة، وإنها الخيانة الواضحة، فإذا كنت تخلص لأخيك فأول ما يجب عليك أن تفعله في حقّه أن تنقذه من النار، وأن تأخذ به بعيداً عن الانهيار.

وإذا كان على أخي أن يعنّفني ويشتد عليّ ويواجهني بالكلمة الثقيلة إذا اقتضى الأمر في طاعة الله من أجل مصلحتي فعليّ أن أرتفع بمستواي إلى حدّ التقبّل، وحدّ الترحيب وحدّ الشكر، ولكن أني لي أن أفعل ذلك؟!^(٢)

«خير إخوانك من عَنَّفَكَ في طاعة الله سبحانه»^(٣). وأكبر مكسب يترتب على أخوة الإيمان أن تهديني وأهديك، أن تنصحني

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٥٥-٥٦.

(٢) خطبة الجمعة (٢٦٨) ٢٩ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ١٩ يناير ٢٠٠٧م.

(٣) المصدر نفسه: ٤٦.

وأنصحك، أن تصحح لي وأصحح لك من غير تشويه سمعة، من غير إيذاء، من غير تعالٍ، من غير إهانة^(١).

٢- «خير إخوانك من دعاك إلى صدق المقال بصدق مقاله، وندبك إلى أفضل الأعمال بحسن أعماله»^(٢)، هذا صديق نموذج، هذا مثال خير، وداعية حق، وهادي طريق، ودليل جنة، أخ معلم، أخ مدرب، أخ نموذج للخلق للكريم، إنه من أفضل الإخوان، بل أفضل الإخوان.

٣- «خير إخوانكم من أهدى إليكم عيوبكم»^(٣)، هذا في الحق، هذا في الواقع، أما على النفس فالأمر قد يكون شيئاً آخر، وذلك بحسب مستويات الناس في مواجهتهم لكلمة النقد وإن كانت صادقة. الصبر على النقد وإن كان من النقد الصادق يحتاج إلى مستوى نفسي، ويحتاج إلى عقل يغلب الهوى، وتدبر يتقدم على الارتجال.

٤- من كلام طويل لأمير المؤمنين أمير البيان صلوات الله وسلامه عليه: «أيها الناس إنما أخبركم عن أخ لي كان من أعظم

(١) خطبة الجمعة (٣٤٦) ٢٢ ذو القعدة ١٤٢٩هـ - ٢١ نوفمبر ٢٠٠٨م.

(٢) تصنيف غرر الحكم، التميمي الآمدي، ص ٤١٧.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٥٧.

الناس في عيني» -

ميزان أمير المؤمنين عليه السلام ميزان إلهي، ميزان أحكم حكيم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ميزان العقل الراجح، والنفس الطاهرة، والموضوعية التي لا غبار عليها، ميزان قلب لا يعرف الباطل - «وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه»^(١) فلنبحث عن مثل هؤلاء الإخوان. من صغرت الدنيا في عينه فهو عظيم، عظيم عقلاً، وعظيم روحاً، وعظيم نفساً، وعظيم خلقاً، مأمون سلوكاً، معلم كبير وإن لم يطلق عليه اسم المعلم، حكيم كبير وإن لم يطلق عليه اسم الحكيم. قد لا تجده في إنسان أمضى جلّ عمره يطلب العلم، وقد تجده في فلاح في زاوية مهملة من زوايا المجتمع. «...كان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه»^(٢) إنه صاحب نظرة موضوعية علمية دقيقة، كل بهارج الدنيا وزخارفها لا تخدعها عن الحقيقة، وكل التسابق ممن يسمون كباراً على الدنيا لم يدخل على نظرتهم إليها بالخطأ اليسير، فبقيت صغيرة كما هي لا تتبدل في نظره. «...وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه»، وكم يكون للبطن من سلطان على الناس يلغي عقولهم، ويذهب بمصلحتهم، ويسقط شرفهم، ويذهب قيمة علمهم

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٥٧.

(٢) المصدر نفسه.

وجاههم؟! سلطان البطن سلطان قاسٍ على إنسانية الإنسان «...إذا وجد، كان خارجاً من سلطان فرجه»، وكم صرعت الفروج من شخصيات، وكم نقلت الفروج من خلق من طريق الجنة إلى طريق النار، وكم أخرجت من رضا الله إلى سخطه؟! «..كان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه»، نعم الفرج قد يحول الإنسان إلى مجنون في لحظة فوران الشهوة «كان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمدّ يده إلا على ثقة لمنفعة»^(١)، هذا خير الإخوان، هذا الأخ العظيم القدر^(٢).

شرّ الإخوان:

١- سئل أمير المؤمنين: أيّ صاحب شرّ؟ -يعني أكثر شرّاً- قال: «المزِين لك معصية الله»، يا فتى مؤمناً، ويا فتاة مؤمنة أنتما ملاحقان ممن يزين لكم معصية الله، مستهدفان، هناك شبكات تخريبية لإفساد الشباب والشابات، وعلى فرض أن تكون الشابة غير موجهة للإفساد، وأن يكون الشاب غير موجه للإفساد لكنهما واقعان في معصية الله، سفيهان لا يملكان النظرة الكونية الصحيحة، ويقدمان الشيطان على الرحمن، مع ذلك فإنّ عليك أيتها الفتاة وأبيها

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج، ١، ص ٥٨.

(٢) خطبة الجمعة (٢٦٨) ٢٩ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ١٩ يناير ٢٠٠٧م.

الفتى أن تهربا من شاب وشابة من هذا النوع هروباً أشد من الهروب من الأسد والأفعى.

إذا كانت علاقة الزواج علاقة مهمة وتؤثر على شخصية الإنسان وعلى مصلحة الإنسان وراحته ولا بدّ في بناء هذه العلاقة من بحث وسؤال فإنّ الأخوة أيضاً لها كل الانعكاسات السلبية أو الإيجابية على الطرف الآخر، لهذا جاء عن علي عليه السلام: «قدّم الاختبار في اتخاذ الإخوان، فإنّه في الاختبار معيار تفرق به بين الأخيار والأشرار»^(١). لقاء سريع في طائرة، لقاء سريع في سفر، موقف كريم عابر من المواقف لا يكفي لبناء الأخوة المعتمد عليها^(٢).

٢- «شرّ الإخوان من تكلف له»^(٣)، العلاقة الإيمانية ليست علاقة دنيويات، ومطامع مادية، إنما هي علاقة روحين عشقت كل منهما الأخرى، واندغمت بها، ورأت فيها جمالاً يجتذّبها. فلذلك وإن كان الأخ المؤمن أسخى الناس على أخيه بماله ودنياه، إلا أن كل طرف منهما ليس له مطمع مادي في صاحبه.

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٤٦.

(٢) خطبة الجمعة (٢٦٨) ٢٩ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ١٩ يناير ٢٠٠٧م.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٤٧.

ما هي مقتضيات الأخوة الإيمانية؟

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدة فيخلفه»^(١). فمن مقتضيات هذا النوع من الأخوة أن تكون عين أخيك المؤمن، تراقب الأخطار التي قد تحدث به، تدله على الطريق، تبصره المواقع ما كان مفتوحاً منها بسلام، وما كان يتوقع منه الخطر وما إلى ذلك، أن تعينه في قضايا الصغيرة وفي قضايا الكبيرة، تسعى لنجاته، ولإنقاذه، ولحراسته، وتدله على الخير، وتذوده عن الشر، ثم لا تخونه ولا تظلمه إلى آخر الحديث.

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد، إذا اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وإن روح المؤمن لأشدّ اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها»^(٢)، لا يمكن لعضو من الجسد أن يهدأ، أن يعيش طمأنينته، أن يكون بلا قلق، أن يجد الراحة في حين أن عضواً آخر منه في حالة مضطربة، فاضطراب عضو يشرك معه كل أعضاء الجسد في الاضطراب بدرجة وأخرى،

(١) شرح أصول الكافي، ج ٩، ص ٣٣.

(٢) المصدر نفسه: ٣٤.

في السهر، في الحمى، في فقد الراحة. وإذا كان المؤمنون جسداً واحداً فإن أذى البعض من هذا الجسد لا بد أن يشعر به كله، ويتفاعل معه، ويجعله يتحرك في دفعه. أرواحهم من روح واحدة، المؤمنون لهم نور من نور الله، ولهم عناية من عناية الله، ولهم لطف من لطف الله، فالأرواح إذا تفاوتت رقياً فإن الرقي لأرواح المؤمنين. يقول الحديث في آخره: «وإن روح المؤمن لأشدّ اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها» الله هو الوجود الأكمل، العلم المطلق، الحياة المطلقة، الله هو الذات المتقدّسة في ذاتها، المستجمعة لكل صفات الجلال والجمال. وإذا كانت الشمس يستمدّ شعاعها منها النور، ولا يفقد نوره؛ لأنه متصل دائماً بها، فإن المؤمن الحق كما هو رسول الله ﷺ وعلي عليه وآله لا يفقد نور الهدى، ولا يفقد صحوة الروح، ويقظة الضمير، وطهارة القلب؛ لأن روحه وعقله وقلبه منشد دائماً إلى الله، ولا ينفصل لحظة عن التعلق برحمة الله، وعن عنايات الله، عن جود الله، عن فيض الله^(١).

(١) خطبة الجمعة (٣٥٦) ١٧ صفر ١٤٣٠هـ - ١٣ فبراير ٢٠٠٩م.

لوازم الأخوة في الله

١- الوفاء وعدم الخيانة:

«المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه، ولا يعدُّه عدة فيخلفه»^(١). فالمؤمن يقوم مقام أخيه المؤمن في الذود عنه، وحماية شخصيته، ودفع كلمة السوء عنه، وتصحيح الشبهة التي تحوم عند البعض حوله، يده يده، تدفع عنه، وعينه عينه حيث يحرس أوضاعه وشخصيته، وهو دليله الدليل الصادق الأمين المخلص الذي لا تصدر منه كلمة إلا عن إخلاص، ولا مشورة إلا عن صدق. ثم إنه إذا وعد هذا المؤمن أخاه المؤمن لم يخلفه ما أمكنه الوفاء، وما قيمة كل الأشياء أشياء الدنيا مما أذن الله ﷻ وأي شيء منها يعزُّ على المؤمن الحق أن يبذله لأخيه في الإيمان؟!!

٢- الدعاء للأخ في الله:

«إذا دعا أحد فليعمم فإنه أوجب للدعاء، ومن قدم أربعين رجلاً من إخوانه قبل أن يدعو لنفسه استجيب له فيهم وفي نفسه»^(٢). الأخوة المعنية في الحديث هي «أخوة الإيمان»، وفيه أنها لا

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٧١، ص ٢٦٨.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٣، ص ٢٦٥ عن الرسول الأعظم ﷺ.

بدّ أن تفرض نفسها على المؤمن، فيذكر حاجة أخيه ذكره لحاجة نفسه، ولهذا الحسّ الاجتماعي الإيماني تقديره عند الله العظيم، وقيّمته العالية، وإنه ليكون شفيع المؤمن عند ربه لإجابة دعوته. وترتفع قيمة هذا الحسّ في الإسلام، والتربية عليه حتى يرغب في أن يقدم الداعي حاجة أربعين من إخوانه في الإيمان على ذكر حاجته.

والمؤمن الحق المجاد في الأخوة الإيمانية لا يجود على أخيه المؤمن بالدعاء ويمنعه مع حاجته مما آتاه الله من واسع رزقه، وأفاض عليه من نعمه، ولو كان الدعاء لحاجة الأخ المؤمن صادقاً ونابحاً من منطلق الإيمان لرافقه ما يمكن للداعي من قضاء حاجته من رزق الله في يده. فالكرم بالدعاء والشحّ بالعتاء ربما كشف عن خفة الدعاء^(١).

آثار دعاء المؤمن لأخيه:

عن الصادق عليه السلام: «ثلاث دعوات لا يحجب عن الله تعالى: دعاء الوالد لولده إذا برّه، -فبروا والديكم- ودعوته عليه إذا عقه، ودعاء المظلوم على ظالمه، ودعاؤه لمن انتصر له منه»^(٢) -ينتصر

(١) خطبة الجمعة (١٠٧) ١٦ صفر ١٤٢٤هـ - ١٨-٤-٢٠٠٣م.

(٢) (الأمالى، الطوسي، ص ٢٨٠).



لك شخص من
ظالمك فتدعو لهذا الشخص فدعائك هذا مستجاب - «ورجل مؤمن
دعا لأخ له مؤمن واساه فينا» - أي أهل البيت عليهم السلام.

الأخ المؤمن يقف مع أخيه في محنته، مواساة له من أجل الأخوة
الإيمانية، فيدعو المحسن إليه فيكون دعاؤه مستجاباً، وانظروا إلى
الفقرة الأخيرة «ودعاؤه عليه إذا لم يواسه مع القدرة عليه واضطرار
أخيه إليه» رجل مؤمن يدعو على أخيه المؤمن ودعاؤه مستجاب؛
فكيف؟ إذا كان أخوك المؤمن في محنة، وكنت قادراً على مواساته
وامتنعت، وأخوك على حال من الاضطرار لمواساتك تكن بمنزلة من
ظلمه، فإذا دعا عليك استجيبت دعوته. والحديث واضح في صياغة
العلاقات الاجتماعية الصالحة، ومواجهة العلاقات السلبية منها.
وعنه عليه السلام: «أربعة لا تردّ لهم دعوة: إمام عادل، ووالد لولده،
والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب...»^(١). يريد الإسلام أن يملأ قلبك
بالإخلاص لأخيك والاهتمام به على غير مرأى من الناس ولا
مرأى منه؛ ليتعمق الإخلاص ويتأكد الاهتمام ويكون العمل الصالح
لوجه الله.

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج، ٣، ص ٢٧٣.

وعن الباقر عليه السلام: «أسرع الدعاء نجحاً للإجابة دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب يبدأ بالدعاء لأخيه فيقول له ملك موكل به: آمين ولك مثلاه»^(١). أنت دعوت لأخيك بخير. هذا الدعاء مستجاب ويضاعف لك، فالخير يكون في حقك مضاعفاً.

وعن الصادق عليه السلام: «دعاء المؤمن للمؤمن يدفع عنه البلاء، ويدرُّ عليه الرزق»^(٢) ربما كان المعنى هنا الداعي نفسه، فدعائك لأخيك المؤمن تقدّم أنه مستجاب، ومن آثار دعائك له أنه يدفع عنك البلاء ويدرُّ عليك الرزق، وهذه آثار موضوعية. وإذا كان المعنى هو المدعو إليه فقد تقدّم أن لك مثليه.

وعبادة الله عز وجل في المجال الاجتماعي لها مساحة واسعة جداً في الإسلام، كسدّ جوعه الجائع، وإغاثة الملهوف، وإصلاح ذات البين، وتعليم الجاهل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيما خطط له الإسلام من هذه العبادة الكفاية لإقامة مجتمع قوي سعيد متقدم متماسك^(٣).

(١) المصدر نفسه: ٢٨١.

(٢) المصدر نفسه: ٢٨١.

(٣) خطبة الجمعة (١٠٩) ٣٠ صفر ١٤٢٤هـ - ٢-٥-٢٠٠٣م.

٣- التراحم

والتحاب علامتا الأخوة الإيمانية:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه، ويحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله تعالى: ﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾^(١) متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٢). يريد الإمام عليه السلام أن يقول أن هذا الخلق الذي أحدثكم عنه ليس أسطورة، وليس من الخيال، إنه الواقع الذي جسّد على الأرض في يوم من الأيام في ظلّ التربية الإيمانية الصادقة. تعرفون المؤاخاة في المدينة وما ترتّب عليها من سلوك بين المؤمنين في مقاسمة الأموال والمساكن وحتى من كانت عنده زوجتان منهم من خير صاحبه في إحداهما، وطلّق من يجب صاحبه منهما، خلقاً ودينياً من أجله. وإن لم يكن هذا التخيير فقد جاءت الأخبار أن منهم من طلق إحدى حليلتيه لصالح أخيه ليتزوجها لشحّ النساء يوم ذاك.

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) شرح أصول الكافي، ج ٩، ص ٤٩.

عن شعيب العرقوفي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأصحابه: «اتقوا الله وكونوا إخوة بررة، متحابين في الله، متواصلين، متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه»^(١). وبلا إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام الذي هو أمر القرآن والإسلام لا يمكن أن يكون هذا التواصل والتحاب والتفاني في خدمة الآخر^(٢).

٤- التصافح والتزاور من مظاهر الأخوة الإيمانية:

عن أبي عبيدة قال: كنت زميل أبي جعفر عليه السلام وكنت أبدأ بالركوب، ثم يركب هو، فإذا استويينا سلم وساءل مساءلة رجل لا عهد له بصاحبه وصافح^(٣)، قال: وكان إذا نزل قبلي فإذا استويت أنا وهو على الأرض سلم وساءل مساءلة من لا عهد له بصاحبه، فقلت: يا ابن رسول الله إنك لتفعل شيئاً ما يفعله أحد من قبلنا وإن فعل مرة فكثير^(٤)، فقال: «أما علمت ما في المصافحة، إن المؤمنين

(١) شرح أصول الكافي، ج ٩، ص ٥١.

(٢) خطبة الجمعة (٣٥٨) ١ ربيع الأول ١٤٣٠هـ - ٢٧ فبراير ٢٠٠٩م.

(٣) في اللحظة السابقة كانا معاً قائمين على ظهر الأرض، فما استويا على الدابة حتى صار الإمام عليه السلام يعامل صاحبه معاملة من لم يره من بعيد. «منه حفظه الله»

(٤) إذا حدث هذا عندنا مرة اعتبرناه شيئاً كثيراً عظيماً لكونه غير معهود في تعاملنا. «منه حفظه الله»

يلتقيان، فيصافح

أحدهما صاحبه، فلا تزال الذنوب تتحات^(١) عنهما كما يتحات الورق عن الشجر، والله ينظر إليها حتى يفترقا^(٢). تتحات الذنوب؛ لأنها مصافحة صادقة، مخلصه، صادرة عن حبٍّ داخلي قائم على صلة الإيمان الصادق، ومنطلق من حب الله سبحانه، وليست مصافحة خداع أو مجاملة كاذبة. ونظر الله إليهما حتى يفترقا. وهو نظر رحمة وعناية ولطف.

عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا: «أيما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحيت عنه سيئة، ورفعت له درجة، وإذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه^(٣)، ثم باهى بهما الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبديّ تزاورا وتحابا فيّ، حق عليّ ألا أعذبهما بالنار بعد هذا الموقف، فإذا انصرف شيعه الملائكة عدد نفسه^(٤) وخطاه وكلامه، يحفظونه من بلاء الدنيا وبوائق^(١) الآخرة

(١) أي تتساقط. «منه حفظه الله»

(٢) شرح أصول الكافي، ج ٩، ص ٥٧.

(٣) برحمته، بلطفه، بإكرامه، بعنايته. «منه حفظه الله»

(٤) النفس هنا اسم جنس، ليس فرداً واحداً، بل كل حركة تدخل تحت هذا

العنوان. «منه حفظه الله»

إلى مثل تلك الليلة من قابل، فإن مات فيما بينهما أعفي من الحساب وإن كان المزور يعرف من حق الزائر ما عرفه الزائر من حق المزور كان له مثل أجره»^(١). لا يُستعظم ذلك كلّ على الإخلاص، وعلى كرم الله. لحظة إخلاص وانشداد صادق من الروح بالله ترتفع بها مسافات معنوية هائلة لا نستطيع تقديرها، وإذا انضم إلى ذلك كرم الله غير المحدود لا يكون استغراب ولا استكثار على هذا الموعود من الله سبحانه^(٢).

(١) أي مهالكها. «منه حفظه الله»

(٢) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ١٨٤.

(٣) خطبة الجمعة (٣٥٨) ١ ربيع الأول ١٤٣٠هـ - ٢٧ فبراير ٢٠٠٩م.

المحبة والمودة بين الأخوة

إخباره بمحبتك لك:

تعليمٌ منهم عليهم السلام: «إذا أحبَّ أحدكم صاحبه أو أخاه فليعلمه فإنه أصلح لذات البين»^(١) عن الرسول صلوات الله عليه وآله. ليست هي المجاملة الكاذبة، إنما هي الكلمة الطيبة المطمئنة، التي تمدّ الجسور وتمتتها بصورة أكد، من أجل تثبيت الأخوة وتقويتها، والمؤمن عند أخيه المؤمن موثوق وكلمته نافذة في قلبه^(٢).

مودتك لأخيك دليل على مودته لك:

١- هناك حبّ الشهوة.

٢- وهناك حبّ الروح.

حبّ الشهوة إنما هو لقضاء وطر. ويكون حبّ الشهوة استغلالاً، خالياً من الإنسانية والرحمة، لا يحمل هدفاً نبيلاً، ولا يراعي قيماً، ولا ينظر إلى مستقبل يسوء أو يحسن. أما مودّات الروح فهي مودّات صادقة وصادرة من منبع القيم، ومنبع الصفاء والوفاء والنور. محبة الروح كالمحبة في الدين، محبة صادقة وهادفة ولا تستهدف من

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٧١، ص ١٨٢.

(٢) خطبة الجمعة (٢٦٦) ١٥ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ٥ يناير ٢٠٠٧م.

الطرف الآخر نفعاً دنيوياً عاجلاً، وإنما تستهدف التفاعل القيمي، والتفاعل الروحي البناء والدافع بقوة لكلا الروحين على طريق الله ﷻ. فإذا وجدت من نفسك محبة لأخيك ليست من محبة الشهوة، وليست من محبة المنفعة، إنما هي من محبة الروح، من محبة الجمال المعنوي فيه، فهذه المحبة وهي صادقة لا بد أن تكون عن تجاوب مع محبة صادقة في قلب أخيك. هذا الحب لا يكذبك كما يمكن أن يكذبك حب الشهوة، هذا الحب حب صادق، وهو نفاذ، وإذا كنت تحب أخاك فاعلم أن أخاك يحبك كما تقول الأحاديث.

«سلوا القلب عن المودات فإنها شواهد لا تقبل الرشا»^(١) قلبك في حبه لأخيك شاهد على حب أخيك لك، قلبك وروحك لا تقوم محبته على كذب، ولا يمكن أن ترتشى الروح، ولا يمكن أن يرتشى القلب الإيماني لينطوي على الحب، إنه لا يحب إلا الجمال الصادق، أما الجمال الكاذب، وأما المودات الظاهرية فالروح الصادقة لا تنخدع بها، فحبك لأخيك حب الروح، وحب الإيمان والدين إنما يكون عن استحقاق وليس عن الوقوع في وهم كما يأتي في حب المنفعة والشهوة.

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٤٩.



سئل

الصادق عليه السلام الرجل يقول: إني أودك فكيف أعلم أنه يودني؟
قال عليه السلام: «امتحن قلبك فإن كنت تودّه فإنه يودك»^{(١)(٢)}.

«سلوا القلوب عن المودّات فإنها شواهد لا تقبل الرشا»^(٣)،
تختبر أخاك المؤمن في حبه لك بما تجده من وده في نفسك، فبمقدار
ما تجد من ود لصاحبك فإنّ صاحبك له ود لك بهذا المقدار أو أزيد،
أما الرشوة بالكلمة المجاملة، ورشوة العطية الكاذبة فإنّ قلب المؤمن
لا ينجس بها^(٤).

محبة الإيمان لا يفرط بها على أي حال:

إنّ أخوة بنيت على محبة الله، وعلى الصفاء في الله والتوجه لله،
هذه المحبة غالية، وقطيعتها خسارة كبرى. تقول الكلمة عن
علي عليه السلام: «إن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع
إليها إن بدا له ذلك يوماً»^(٥)، قد تلاحظ على أخيك أسباب جفوة،
وقد تسجل عليه خطأ، فتقدّر أنّ هذه الأخوة في حاضرها ليست

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١ ص ٤٩.

(٢) خطبة الجمعة (٢٦٦) ١٥ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ٥ يناير ٢٠٠٧م

(٣) المصدر نفسه: ٤٧.

(٤) خطبة الجمعة (٢٦٥) ٨ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٦م.

(٥) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٤٩.

بالتى تخدم روحك، وتساعد على نمو دينك في داخلك، إلا أن هذه الملاحظة ينبغي ألا تذهب بك إلى القطيعة الحاسمة لهذه الأخوة، فأخوك الذى أخطأ اليوم قد يراجع نفسه غداً ويعود إلى الاستقامة أحسن مما كان عليه من استقامة، وقد تأتي بعد الملاحظة السلبية مراجعة منك أنت لنفسك فتجد أن تقديرك الأول كان تقديراً قائماً على خطأ. والأخوة الصادقة أغلى من تجارة مادية رابحة، وكما لا تتسرع في رفع يدك عن تجارتك الرابحة، أيضاً عليك ألا تتسرع في هدم الأخوة الصادقة.

«لا تصرم أخاك على ارتياب، ولا تقطعه دون استعتاب، ولن لمن غالظك فإنه يوشك أن يلين لك»^(١)، قد تذهب بك الظنون - وكثيراً ما تكون الظنون كاذبة - إلى أن أخاك عنده تقصير معك أو أراد بك سوءاً، لا تسرع راكضاً وراء الأخذ بهذا الظن وإنما لا بد من التريث، ولا بد من الدراسة؛ لأنك لن تخسر بقطيعة أخيك الشيء البسيط. ثم للأخوة الإيمانية حرمة عند الله لا ينبغي التفريط بها بهذه السرعة. «ولا تقطعه دون استعتاب» العتب الكثير ربما يفصل بين الأخوين، وترك الاستعتاب بالمرّة ربّما يراكم في النفس من سوء الظن وبذلك تنقطع العلاقة. لا بد من العتب الجميل، ولا بد من تفهّم لعذر أخيك فيما يكون قد حدث منه. «ولن لمن

(١) المصدر نفسه.



غاظك فإنه يوشك

أن يلين لك»، وهذا التعبير الأخير لا يختص بالأخوات الصادقة والمودات المتينة، إنما هو تعبير قد يعم كل العلاقات بين المؤمنين وحتى بين غير المؤمنين. حاول أن تعالج غلظة الطرف الآخر بشيء من اللين منك، فربما عالجته ذلك وارتفع أصل المشكلة بينكما، وإذا استمر على غلظته فلكل حادث حديث^(١).

(١) خطبة الجمعة (٢٦٦) ١٥ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ٥ يناير ٢٠٠٧م.

التجديد والاستكثار من الإخوان

١- معنى تجديد الأخوة وفوائدها:

عن النبي ﷺ: «... ومن جدد أخاً في الإسلام بنى الله له برجاً في الجنة...»^(١).

أ- هناك أخوة مستجدة لمسلم سابق.

ب- وهناك أخ وأخوة مستجدان.

حيث يسعى المسلم لإدخال فرد من أفراد المجتمع الإنساني في جنة الإيمان، ويقوم الأخوة الإيمانية الخاصة بينهما. والصورتان كل منهما تعني إضافة في بناء المجتمع الإسلامي الصالح، وتعطي قوة لهذا المجتمع، ولذلك يكون الجزاء برجاً في الجنة، وهو برج يحمي من كل سوء يمس الروح، يمس القلب، يمس النفس، يمس الإرادة، يمس البدن، يمس سعادة الإنسان. ولأن الإسلام يريد الإنسان فرداً على إسلام قويم، كما يريد أن يكون مجتمع إنساني عاملاً لله، كل أوضاعه عادلة، فإنه يحرص على أن لا تبقى مسلماً فرداً، عليك أن تطلب دائماً بناء المجتمع الإسلامي ولو بأن تضع الحجر الأولى لهذا

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٧٢، ص ٢٦٠.

البناء الشامخ بأن تكسب أخوة الإنسان المؤمن، وتقيم وحدة اجتماعية أولية تنطلق بقوة وفاعلية لبناء المجتمع الإسلامي الكبير. الأخوة الإيمانية في الإسلام للبناء، للتطوير، للتفاعل الإيجابي على المستوى الفكري والروحي والعملية، وتبادل العطاءات على المستوى الإيماني والنفسي وكل مستوى نافع من أجل التقدم بمسيرة الحياة^(١).

٢- فائدة استكثار الإخوان:

«استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة»^(٢)، وهذا أثر أخروي يستحق الحرص الشديد من المؤمن عليه، على أن الشفاعة وحتى أكبر شفاعة تحتاج إلى قابلية محل واستعداداً وأهلية في المشفوع له؛ وإلا فمن أغضب الله عز وجل غضباً يخرج عنه رحمته فإن الشفاعة لا تجدي معه.

(١) وقال ﷺ في خطبة أخرى: «وربما يكون معنى الحديث أنه عمل على هداية إنسان للإسلام وبذلك ينضاف أخ جديد من إخوة الإسلام إلى هذا الشخص، وقد يذهب الحديث إلى أن المسلم الذي يطلب الأخوة الخاصة المضافة بالنسبة إلى مسلم آخر يبني الله له برجاً في الجنة، والمعنى الثاني أظهر» خطبة الجمعة (٢٦٤) ٣٠ ذي القعدة ١٤٢٧هـ - ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٦م.

(٢) المصدر نفسه: ٣٩.

«من لم يرغب

في الاستكثار من الإخوان ابتلي بالخسران»^(١)، إذا كان المؤمن كنزاً
وفيراً، ثمناً غالباً فكيف لا يكون الزهد فيه زهداً في الخير وهو من
الزهد الخسارة؟!

مكسب كبير يعين على حمل ثقل الحياة ويعين على الوصول
إلى الجنة، ونيل رضوان الله ﷻ وهو أن تكتسب إخواناً من إخوان
الصدق، فحين يفرط أحدها في طلب هؤلاء الإخوان وهم أعز من
الكبريت الأحمر فإنه يوقع نفسه في خسارة في دنيا ودين. ثواب
على طلب هذه الأخوة وتأسيسها^(٢).

٣- الأعجز في اكتساب الإخوان وتضييعهم:

«أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان وأعجز منه من
ضيع من ظفر به منهم»^(٣)، الأخ في الله كلمته تصحيحية هادية، له
إشعاعه، له نصحه، له نضجه، له إخلاصه، فهو كنز كبير من
المعنويات، وكنز كبير من العطاءات الثرة الخالدة، فأنت تضيع

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٣٩.

(٢) خطبة الجمعة (٢٦٤) ٣٠ ذي القعدة ١٤٢٧هـ - ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٦م.

(٣) نهج البلاغة، ج ٤، ص ٤.

بتضييعه كنزاً هو أغلى وأثمن من كنوز المادّة^(١)، أنت إذا اكتسبت أخاً كريماً في الله فقد أعثرك الله على كنز ثمين، وعلى سراج يعينك على إنارة الطريق، يعينك على مدافعة الشيطان، يقف معك عند الملمات، فليس من العقل أصلاً أن يضيع أحداً كنزاً ساقه الله إليه هو أغلى الكنوز في الأرض^(٢).

«من استفاد أخاً في الله على إيمان بالله ووفاء بإخائه طلباً لمرضاة الله فقد استفاد شعاعاً من نور الله»^(٣). أمر ينور به الله، يزيد في نوره، يفتح بصيرته، يقترب به من معرفة الحق، يطرد عنه وحشة الظلمة، ظلّمة الكفر والشرك والجهل، ذلك أن يستفيد الإنسان أخاً في الله على إيمان بالله ووفاء بإخائه طلباً لمرضاة الله ﷻ. إنّه لجزء كبير من الله ﷻ، يجده الإنسان في دنياه قبل آخرته، ويمكن أن يكون في الحديث إشارة إلى هذا المعنى، إلى أن الأخ في الله المختار على مقاييس إسلامية إيمانية مركز إشعاع، مصدر معرفة، يذكر بالله ﷻ، يهدي إليه، يعين على الطاعة، وكل ذلك سبب من أسباب تولد شعاع من نور الله في قلب أخيه.

(١) خطبة الجمعة (٣٤٦) ٢٢ ذو القعدة ١٤٢٩هـ - ٢١ نوفمبر ٢٠٠٨م.

(٢) خطبة الجمعة (٢٦٤) ٣٠ ذي القعدة ١٤٢٧هـ - ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٦م.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٧٥، ص ١٧٥.



«من فقد أخاً

في الله فكأنما فقد أشرف أعضائه»^(١)، وأشرف الأعضاء ما كان مصدر هداية وإشعاع، ومعرفة وطاعة لله تبارك وتعالى. أشرف عضو في الإنسان قلبه الزكي، عقله المفكر، الأخ في الله ليس عضواً بمنزلة اليد أو الرجل وإنما هو أخ بمنزلة القلب والعقل^(٢).

(١) تصنيف غرر الحكم، التميمي الآمدي، ص ٤١٤.

(٢) خطبة الجمعة (٢٦٥) ٨ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٦م.

متى وكيف تقوى العلاقة الأخوية بين المؤمنين؟

تشدُّ الأخوة الإيمانية كلما علا وتقارب مستوى الإيمان بين المشتركين في علاقة الإيمان، وكلما تعمقت هذه الأخوة، وترسخت واشتدت كلما ظهر أثرها في مدى المحبة والتعاطف والانسجام بين أطرافها. ويزداد حقُّ المؤمن على إخوانه المؤمنين بزيادة إيمانه وصدقته وخلوصه ونزاهته^(١).

وزكاة الفطرة التي لا يحلُّ لقادر مستجمع للشروط التخلف عنها، ولا التساهل فيها، والتأخير لها عن وقتها. وهذه الفريضة منطلقها الأخوة الإيمانية، وما يجب أن يكون عليه المؤمنون من حسٍّ مشترك في الآلام والآمال، ومن المسارعة في سدِّ الفراغات التي قد تُسبب المتاعب في حياة بعضهم، وقضاء حاجة كل محتاج منهم بما يدفع ضيقه، ويرضي الله تبارك وتعالى. وحياة المسلمين والمؤمنين وأيامهم كلها ينبغي أن تكون حياة تواصل بينهم وتراحم وتكاتف، وتعاون في الخير، ودرء للشر^(٢).

(١) خطبة الجمعة (٥٣٠) ٨ محرم ١٤٣٤هـ - ٢٣ نوفمبر ٢٠١٢م.

(٢) يجب أن يكون المؤمنون كلهم يداً واحدة في سبيل الخير، وفي مواجهة الشر. «منه حفظه الله»

وما أعظمها من كلمة عن الإمام عليّ عليه السلام في التعامل الاجتماعي البناء القائم على العدل والإحسان واحترام إنسانية الإنسان، ومعرفة حقّ الأخوة الإيمانية وقيمتها العالية، تقول الكلمة عنه عليه السلام: «ابذل لأخيك دمك ومالك، ولعدوك عدلك وإنصافك، وللعامّة بشرك وإحسانك»^(١). ومما يمتنّ العلاقات الاجتماعية ويوثّقها: التزاور والتهادي وتفقد حاجات من كنت تظنّ حاجته، ويومُ العيد من أنسب الأيام التي تنشط فيها هذه العلاقات والصلات^(٢).

إدخال السرور على قلب الأخ المؤمن

كان رجل عند أبي عبد الله عليه السلام فقرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾^(٣) قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: «فما ثواب من أدخل

(١) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٥٠، ط ٢ المصححة. هل يوجد فوق هذا التعامل الإيجابي، البناء تعامل آخر؟! قمة التعامل مع الأخ أن تبذل له دمك ومالك، وقمة في التعامل مع العدو أن تعدل معه وتعامله بإنصاف، وللعامّة منك بشرك وإحسانك. «منه حفظه الله»

(٢) خطبة عيد الفطر المبارك ١ شوال ١٤٣٣هـ - ١٩ اغسطس ٢٠١٢م.

(٣) سورة الأحزاب: ٥٨.

عليه السرور؟»^(١)

فقلت: جعلت فداك عشر حسنات، فقال: «إي والله وألف ألف حسنة»^(٢). ارتقب عشر حسنات، وارتقب مائة حسنة، وألفاً، ولك أن ترتقب من فضل الله مليون حسنة، وقد يكون المليون أيضاً على سبيل المثال. كرم الله لا يُحدّ، والإخلاص ليس على درجة واحدة، وحجم السرور ليس بدرجة واحدة، والضائقة التي يقع فيها المسلم من درجات مختلفة، وكل ذلك يجعلنا أمام معقولية تفاوت الثواب.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أدخل السرور على مؤمن فقد أدخله على رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أدخله على رسول الله صلى الله عليه وآله فقد وصل ذلك إلى الله وكذلك من أدخل عليه كرباً»^(٣).

أليس رسول الله صلى الله عليه وآله أباً لهذه الأمة، وهو الأب المخلص الشفيق، ثم أليس الله هو ربّ العباد، وهو أشفق شفيق على عباده، وقد أنزل كتباً، وأرسل رسلاً، وخلق كوناً من أجل هداية الإنسان ومصالحته، ومن أجل أن يدفع بمستواه إلى أعلى عليين؟ فكيف لا

(١) ذاك عقاب من أدخل عليه الأذى، ولكن ما ثواب من أدخل عليه السرور؟ «منه حفظه الله»

(٢) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ١٩٢.

(٣) المصدر السابق.

يكون سرور العبد المؤمن سروراً لرسول الله ﷺ، وسروراً لله ﷻ على نحو المجاز، أي: بمعنى أن يعامل الله ﷻ من أسر عبده المؤمن معاملة كما لو كان هو المسرور بذلك الجميل الذي أسداه المؤمن لأخيه المؤمن. الله ﷻ لا يعتريه سرور، لا حزن ولا فرح ولا أي عارض، جلّ عن ذلك وعلا علواً كبيراً، ولكن يكون الله ﷻ في جزائه العبد المؤمن الذي أدخل السرور على أخيه المؤمن وكأنه هو المسرور نفسه. وكم يتمنى المرء أن يقطع مسافات ومسافات ليلتقي برسول الله ﷺ فيدخل عليه سروراً، حين أنك في مكانك وزمانك، وفي داخل بيتك، أو من خلال الإحسان إلى جارك المؤمن تكون قد أدخلت السرور على رسول الله ﷺ بإدخالك السرور على مؤمن أو مؤمنة ممن يسرُّ الرسول ﷺ لسرورهما.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أحب الأعمال إلى الله عز وجل إدخال السرور على المؤمن: إشباع جوعته، أو تنفيس كربته، أو قضاء دينه»^(١). وهذه أمثلة لإدخال السرور على المؤمن، وإلا فالمصاديق كثيرة، والموارد متعددة منها المادي ومنها المعنوي^(٢).

(١) المصدر السابق.

(٢) خطبة الجمعة (٣٥٩) ٨ ربيع الأول ١٤٣٠هـ - ٦ مارس ٢٠٠٩م.

السعي في قضاء حاجة المؤمن

المؤمن نفاع سباق للخير:

عن الصادق عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿...وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾^(١) قال: «نفاعاً»^(٢).

وعنه عليه السلام: «قال الله تعالى الخلق عيالي، فأحبهم إليّ ألطفهم بهم، وأسعاهم في حوائجهم»^(٣).

وعنه عليه السلام: «إنّ العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكلّ الله تعالى به ملكين: واحداً عن يمينه، وآخر عن شماله، يستغفران له ربّه، ويدعوان بقضاء حاجته...»^(٤).

وعنه عليه السلام: «ما قضى مسلم لمسلم حاجته إلا ناداه تبارك وتعالى: عليّ ثوابك، ولا أرضى لك بدون الجنة»^(٥).

(١) سورة مريم: ٣١. مباركاً يعني نفاعاً. «منه حفظه الله»

(٢) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص ٢١٢.

(٣) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ١٩٩، ط ٤.

(٤) المصدر السابق.

(٥) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٧١، ص ٣٢٦، ط ٢ المصححة. فليطمع الطامعون

في جنة الله، وليسعوا إلى قضاء حوائج إخوانهم المؤمنين. «منه حفظه الله»

المؤمن يحمل من إيمانه زاد نور وهداية وخير وبركة، والإيمان لا يصدر منه إلا ما فيه نفع الناس وخيرهم، وما فيه صلاح الحياة وقوامها ورشدها وهداها.

وكَلِّمًا تَمَّ للإيمان في النفس معناه، وصدقت حقيقته انفتح بالنفس من خيره، وهداه، وبما آتاه الله من ألوان النعم على عطاء الآخرين لا تدع حاجة من حاجاتهم تجد سبيلاً إلى قضائها إلا قضيتها في حفظ لكرامة الآخر وعزته، شاكراً لنعمة الله، معترفة بمنته، ذاكراً لجميله. والإيمان الحق لا يجامعه الشح بالدنيا؛ لأنها لا تنال من نفس وجدت حلاوة الإيمان، وعظمت ثققتها بالله، وشغلها ذكره الجميل، وارتفع بها منزلة رفيعة. إنه لا مكان لسحر الدنيا في نفس آمنت بالله حقاً وصدقاً. وتدفع النصوص الدينية بالمسلم دفعاً حثيثاً قوياً للسعي في حاجات الناس ابتداء بالأشد صلة بالله ﷺ، والأصدق إيماناً، وليعم بتعاونه وإحسانه كل محتاج من المسلمين، وليكون أكثر امتداداً في الإحسان بأن يلطف بأي من الخلق، ويسعى في حوائجهم ما لم يكن في ذلك معونة على باطل، ومخالفة للحق الذي تراه شريعة الله الرحيمة العادلة^(١).

(١) خير المسلم يصل إلى المسلم وغير المسلم، وحتى للحيوان. كل ذلك حيث يكون في طاعة الله ﷻ، وابتغاء وجهه الكريم. «منه حفظه الله»

من أساء

فعلها:

لا يستوي في حكم الله محسنٌ ومسيءٌ، ولا مطيعٌ وعاصٍ. ومن شحَّ بنعم الله عنده فأول ما يشحُّ على نفسه، وشحَّه يعرضه لغضب ربه. والأحاديث في ذلك واضحة الدلالة، كافية للردع عن هذا الخلق اللئيم، وفيها تشديد وتغليظ وتوعُدٌ كبير.

عن الصادق عليه السلام: «من صار إلى أخيه المؤمن في حاجة أو مسلماً فحجبه لم يزل في لعنة الله إلى أن حضرته الوفاة»^(١).

و«من سأله أخوه المؤمن حاجة من ضرِّ فمعه من سعة وهو يقدر عليها من عنده أو من عند غيره حشره الله يوم القيامة مغلولاً يده إلى عنقه حتى يفرغ الله من حساب الخلق»^(٢).

«ما من مؤمن بذل جاهه لأخيه المؤمن إلا حرمَّ الله وجهه على النار، ولم يمسه قتر ولا ذلَّة يوم القيامة، وأيما مؤمن بخل بجاهه على أخيه المؤمن وهو أوجه جاهاً منه إلا مسه قتر وذلَّة في الدنيا

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٧٢، ص ١٩٠، ط ٣ المصححة.

(٢) المصدر السابق، ج ٧١، ص ٢٨٧، ط ٣ المصححة.

والآخرة، وأصابت وجهه يوم القيامة لفحات النيران معذباً كان أو مغفوراً له»^(١).

ثلاثة أحاديث من جملة أحاديث تهديدها شديد، ووعيدها عظيم لا يحتمله قلب له شيء من الإيمان.

التوعدُّ من جبار السماوات والأرض لمن صار إليه أخوه المؤمن في حاجة أو مسلماً فحجبه، وامتنع من ملاقاته، ولم يقض حاجة أخيه في الإيمان، ولم يسع فيها وهو قادر. ولو كان هذا المقصر في حق أخيه في الإيمان ممن غفر الله لهم يوم القيامة إلا أن وجهه تصيبه لفحات النار. ولا يعذر المؤمن أنه لا يجد ما يقضي به حاجة أخيه إذا كان يمكن أن تقضى بسعيه في قضائها ممن يجد ذلك. فلو وجد من الوجاهة الاجتماعية، والموقع الخاص عند من هو أهلُّ كان عليه أن يعطي من وجاهته ما يقضي به حاجة أخيه.

صنَّ وجهك، واحفظ شرفك:

لإنسانيتك وزن، لإيمانك وزن، لكرامتك وزن وليس لك أن تُفرط في كل هذه الأوزان بمسألة من لا يقيم لك وزناً، ويسهل عليه أن يردك ويهدر كرامتك.

(١) المصدر السابق، ص ٣١٧، ط ٢ المصححة.

ما ينبغي هو أن لا تسهل عليك المسألة، وإيداء الحاجة إلى لئيم أو كريم، وأن تتصبر احتفاظاً بماء وجهك، وصوناً لكرامتك ما أمكن التصبر، وحسن. وإذا ألزمتك الحاجة السؤال فاجتِ عمن لا يردك ما وجد، ولا يمين عليك، ويؤلمه أن تنال مؤمناً مهانة.

ونقرأ في هذا ما عن الإمام الحسين عليه السلام: «لا ترفع حاجتك إلا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مروءة، أو حسب؛ فأما ذو الدين فيصون دينه، وأما ذو المروءة فإنه يستحيي لمروءته، وأما ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك فهو يصون وجهك أن يردك بغير قضاء حاجتك»^(١).

وعن الصادق عليه السلام: «تدخل يدك في فم التين إلى المرفق خير لك من طلب الحوائج إلى من لم يكن له وكان»^(٢).

إن الدين، والغنى بالإنسانية وأصولها الكريمة، والإحساس بقيمة الإنسان، والتمتع بشرف النفس كل ذلك يمنع من أتصف بواحد منه من رد حاجة المبيدي لحاجته ما وجد لقضائها سبيلاً، فإذا دعا ضبط الحاجة إلى عرضها على أحد فإثماً تعرض على من كان له من هذه

(١) تحف العقول، الحراني، ص ٢٤٧، ط ٢.

(٢) المصدر السابق: ٣٦٥.

الصفات. أما أشرار الخلق، ومن كان لئيماً من الناس فمن الظلم للنفس واسترخا ص المرء بقيمته أن يعرض حاجته عليهم.

ومن كان غناه حادثاً، وليس له تاريخ في الخير يرى الحديث عن الصادق عليه السلام أن ينأى الإنسان عن القصد إليه في الحاجة لما في قصده هذا من هدر للكرامة، وتضييع بشع لماء الوجه، وسحق للوزن حتى أنه ليكون إدخال اليد في فم الحية العظيمة وهي التنين إلى المرفق على الصعوبة البالغة في ذلك وما فيه من تعريض النفس لخطر الهلاك أهون منه.

وربما حق على حديث النعمة^(١) أن يوصف بهذا الوصف لما عليه نفسه من ذكريات حية لألم الفقر الذي كان يعاني منه، واغتراره بالثروة الحادثة، وتصوره أنها تمثل كل وجوده. وهذا لا يعني أن لا توجد نفوس زكية أكبر من بريق الثروة حادثة كانت أو غير حادثة بدرجات ودرجات، ولكن يبقى الغنى المفاجئ مظنة لإحداث حالة من الشح الشديد.

أما عن شرار الخلق فجاء أكثر من حديث يأمر بالدعاء بالاستغناء عنهم. من ذلك ما عن الإمام زين العابدين عليه السلام عندما

(١) أي من كانت نعمته مستجدة. «منه حفظه الله»

قال بحضرتة رجل:

اللهم أغني عن خلقك^(١). فقال عليه السلام: «ليس هكذا، إنما الناس بالناس^(٢)، ولكن قل: اللهم أغني عن شرار خلقك»^(٣).

وعن الرسول صلى الله عليه وآله عن من هم شرار خلق الله المعنيين في مثل هذا المورد، قال: «الذين إذا أعطوا منوا، وإذا منعوا عابوا»^{(٤)(٥)}.

ثواب ومقام قضاء حاجة المؤمن:

عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من طاف بالبيت أسبوعاً^(٦) كتب الله عز وجل له ستة آلاف حسنة ومحا عنه

(١) جاء في الهامش في البحار: في بعض النسخ «من خلقك». «منه حفظه الله»
(٢) أنت تقول: اللهم أغني عن خلقك، الدعاء لا يكون هكذا. «منه حفظه الله»

(٣) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٣٥ ط ٢ المصححة، عن تحف العقول ص ٢٧٨ ط ٢. لأن الناس للناس، من يستطيع أن يستغني عن الناس كل الناس، وقد جعل الله عز وجل الناس أسباباً من أسباب رزقه ومن أسباب النهوض بمستوى الحياة؟! «منه حفظه الله»

(٤) مستدرک الوسائل ج ٥ ص ٢٦٤. يمنعك، ويعيبك لسؤالك له. «منه حفظه الله»

(٥) خطبة الجمعة (٥٠٠) ٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠ أبريل ٢٠١٢م.

(٦) سبعة أشواط. «منه حفظه الله»

سنة آلاف سيئة ورفع له ستة آلاف درجة - قال: وزاد فيه إسحاق بن عمار - وقضى له ستة آلاف حاجة، قال: ثم قال: وقضاء حاجة المؤمن أفضل من طواف وطواف حتى عدّ عشرًا»^(١).

ذاك ثواب طواف الأسبوع، بينما قضاء حاجة المؤمن تتضاعف عن ثواب طواف الأسبوع فيقول الحديث: «أفضل من طواف وطواف حتى عدّ عشرًا»، فاضرب الثواب المذكور في عشرة ينتج لك ثواب قضاء حاجة المؤمن وليس هذا على الله بكثير.

عن إبراهيم الخارقي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من مشى في حاجة أخيه المؤمن يطلب بذلك ما عند الله حتى تقضى له كتب الله تعالى له بذلك مثل أجر حجة وعمرة مبرورتين^(٢)، وصوم شهرين من أشهر الحرم واعتكافهما في المسجد الحرام، ومن مشى فيها بنية ولم تقض كتب الله له بذلك مثل حجة مبرورة، فارغبوا في الخير»^(٣).

ونحن نجد تفاوتاً في الثواب الذي تذكره الأحاديث في قضاء حاجات المؤمنين، وهذا ما يفسره مثل ما سبق من تفاوت الجهد،

(١) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ١٩٤.

(٢) أي مقبولتين. «منه حفظه الله»

(٣) المصدر نفسه.

ومن إخلاص النية،
ومن التقيد التام الدقيق بالحكم الشرعي في السعي، ومن اختلاف
قيمة وموقع المؤمن الذي قضيت له حاجته، فالإيمان يتفاوت، وبقدر
ما يتفاوت الإيمان يتفاوت قدر المؤمنين، فهناك جهات عديدة يمكن
أن تبرر لنا هذا التفاوت في ثواب قضاء حاجة المؤمن بين مورد
ومورد آخر.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أوحى الله ﷻ إلى موسى عليه السلام أن من
عبادي من يتقرب إليّ بالحسنة فأحكمه في الجنة^(١)، فقال موسى:
يا ربّ وما تلك الحسنة؟ قال: يمشي مع أخيه المؤمن في قضاء
حاجته قضيت أو لم تقض»^(٢).

عظيم أن يحكم الله ﷻ عبده المؤمن الذي مشى مع أخيه في
الإيمان في قضاء حاجته سواء تمّ قضاؤها أو لم يتم إكراماً له، فيعطيه
أن يختار من الجنة ما يختار وأن يشفع فيمن يشفع.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه
فلا تكون عنده فيهتم بها قلبه، فيدخله الله تبارك وتعالى بهمّه

(١) يبيح له أن يأخذ ذلك الموقع، أن يأتي بفلان. «منه حفظه الله»

(٢) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ١٩٦.

الجنة»^(١). يأسف، يتألم لأن ليس بيده قضاء حاجة أخيه المؤمن. يعرض مؤمن على أخيه حاجته، يفكر، ويبحث، فلا يجد سبيلاً لقضاء حاجة أخيه المؤمن فتقع نفسه في ضيق لمحنة أخيه المؤمن، ولعجزه عن رفع همّه وكربه، فيكون له في ذلك جزاء الجنة من الله تبارك وتعالى^(٢).

عن أبي المعتمر قال: سمعت أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أيما مسلم خدم قوماً من المسلمين إلا أعطاه الله مثل عددهم خداماً في الجنة»^(٣). ربما كان بتقدير: إلا أعطاه الله ما فعل ذلك مثل عددهم خداماً في الجنة. إنها خدمة فيها نفع دنيا أو دين، وخدمة الأخ للأخ في الله. وهي خدمة شرف لا وضاعة حيث تكون قربة إلى الله تعالى. المبادرة لقضاء حوائج الإخوان، وإتمام مشاريعهم الشخصية النافعة، المعاونة في علاج، في مكسب، في أي شيء يرضاه الله تبارك وتعالى، في خدمات وليفة عند مؤمن، تقديم ماء في سفر، تقديم طعام... إلخ، كل ذلك وأمثاله محسوب الأجر لصاحبه عند الله تعالى.

(١) المصدر نفسه.

(٢) خطبة الجمعة (٣٥٩) ٨ ربيع الأول ١٤٣٠هـ - ٦ مارس ٢٠٠٩م.

(٣) المصدر نفسه: ٢٠٧.

وما الجزاء؟

الجزاء «إلا أعطاه الله مثل عددهم خدماً في الجنة» وينطوي هذا على ضمان الجنة. كل ذلك في ظل الإيمان، والقربة إلى الله تبارك وتعالى^(١).

ستر عورة المؤمن:

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أيما مؤمن نفس عن مؤمن كربة وهو معسر يسر الله له حوائجه في الدنيا والآخرة، قال: ومن ستر على مؤمن عورة يخافها ستر الله عليه سبعين عورة من عورات الدنيا والآخرة، قال: والله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه، فانتفعوا بالعظة وارغبوا في الخير»^(٢).

المؤمن إذا كانت له عورة، عيب، ذنب، ما يسيء لقدره في المؤمنين، ما يهبط بمنزلته عند الله تعالى فهي فاجعته الكبرى، وكارثته الأليمة، المؤمن الحق، ومن عليه المؤمنون يفقد الدنيا بكاملها، وقد تمرّ به سحابة خفيفة من حزن لما فقد وقد لا تمرّ، يجد نفسه في معرض طرد الله له من رحمته، وأنه صار في الموقع الذي يخاف على نفسه من سقوطه في عين الله فذلك شقاؤه الأليم، وتلك محنته

(١) خطبة الجمعة (٣٦٠) ١٥ ربيع الأول ١٤٣٠هـ - ١٣ مارس ٢٠٠٩م.

(٢) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٢٠٠.

الكبرى، وهو محرمة الله في نفسه يكون للمؤمنين حرمة في نفسه. ولو رآه المؤمنون فقيراً، لو رآه المؤمنون مريضاً، لو رآه المؤمنون قد فشل في مشروع هذا لا يهمه، لكن يهمه كل الهم أن تُجرح سمعته الدينية في المؤمنين، لا لأنه ينظر للمؤمنين بما هم رازقون وخالقون وقادرون على النفع والضر؛ إذ ليس في نفسه شيء من هذا، ولكن لأن غضبهم إذا حقّ فهو انعكاس ما لغضب من الله ﷻ، وبذلك يقلق، ولأنه استحق الفضح من الحبيب. المؤمن الثاني لا يتخذها فرصة في أخيه، وإنما يستر عليه كما يستر على نفسه، ويتذكر حينئذ محنة العورة لو كانت من نصيبه، فكما يتوارى بعورته عن أعين الناس، فكذلك هو يتوارى بعورة أخيه المؤمن عن أن تُفصح فيهم. أوليس المؤمنان من جسد واحد؟!^(١).

(١) خطبة الجمعة (٣٥٩) ٨ ربيع الأول ١٤٣٠هـ - ٦ مارس ٢٠٠٩م.

المناصحة أهمُّ حقوق الأُخوة الإيمانية

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يجب للمؤمن على المؤمن أن يناصحه»^(١)، وهذا باب عظيم.

١- المناصحة: العمل على حفظ المصلحة، وحفظ الكرامة والعرض والسمعة.

٢- المناصحة: السعي في المحضر، وفي المغيب لمصلحة المؤمن، ودفع الظلم عنه، ومنه ظلم الكلمة، الذي يأكل شرف الإنسان، وسمعته، ويحرم المؤمنين من دور كبير ربما جرى على يديه فيه نفعهم وإنقاذهم.

٣- المناصحة بأن تكون كأنك أخوك المؤمن تدير الأمر وتدبره من أجل مصلحته، سواء كان ذلك في محضره أم في مغيبه، كما تراعي مصلحتك، وتراعي شخصيتك، وعرضك، وشأنك، تراعي كل ذلك من شأن أخيك.

٤- ومناصحة إمام المسلمين كعلي أمير المؤمنين عليه السلام، العمل على تركيز وضعه في الناس، وتشبيت موقعيته خدمة للبشرية بكاملها، وأن تذود عنه، وأن تقف منه؛ من قضاياه، من دوره، من حقانيته موقفك من مصلحة نفسك، وعلي بن أبي طالب هو الدين،

(١) المصدر السابق: ٢٠٧.

والحسن بن علي عليه السلام هو الدين، والأئمة عليهم السلام كلهم هم الدين، وكل مخلص في الأمة صادق الكلمة، قادر على خدمتها، مدافع بحق عنها، سالك طريق ربه تبارك وتعالى في الحفاظ على مصالحها، على الأمة بكاملها أن تذود عنه، وتحفظ شخصيته، وتعينه على أمره، وذلك لله ثم للأمة وله. وهذا يحتاج إلى كثير من عقل، وكثير من حكمة، وكثير من إخلاص.

والنصح واجب، ولكن قد يمنع منه مانع، وما استطاع الشخص أن يتوسل بكل وسيلة صالحة لإيصال نصحه خاصة لمن يتولون شؤون الأمة من موقع رسمي، أو من موقع شعبي وجب عليه أن يفعل ذلك، ما أمكن أن تقبل النصيحة وينتفع بها، أو تقام الحجة من غير آثار أكبر ضرراً. عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب»^(١) وقد تنصحتي بما أكره، وقد أنصحتك بما تكره، ولكن كثيراً مما أكره فيه مصلحتي، وكثيراً مما تكره فيه مصلحتك، وقد يكون أن ما يتراءى لي هو النفع كله إنما هو في الواقع الضرر كله. عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة»^(٢). عن أبي جعفر عليه السلام قال:

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

قال رسول

الله ﷺ: «لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه»^(١) كلمة وسعياً.

انظر كيف تحمل نفسك على الصواب، وكيف تحدثها بالخير، وتلومها على الشر، وتحاول أن تصحح لها الطريق فلتفعل ذلك مع أخيك مناصحة له؛ وانظر كيف تستعمل رجلك ويدك وعينك وكل طاقة عندك في الدفاع عن نفسك فإنه يحق بحقّ عليك أن تفعل ذلك بالنسبة لأخيك المؤمن مناصحة له.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه»^(٢). أمشاهم، يتحرك كثيراً، يهتم كثيراً، له همٌّ بالغ يولد في نفسه حركة مستمرة من أجل تصحيح وضع المؤمنين، نصيحتهم، الدفع عنهم، وضعهم على الطريق، تبصيرهم بالأمور.

عن سفيان بن عيينة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عليكم بالنصح لله في خلقه فلن تلقاه بعمل أفضل منه»^(٣) أفضل

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

من هذا النصح فهو عمل في أعالي قائمة الأعمال الصالحة عند الله، وهو أن تكون عين أخيك وسمعه ويده ورجله، تحرسه، تنفعه، تسعى في مصلحته والذود عنه.

وفي هذا السياق تأتي الأحاديث في الإصلاح بين الناس:

عن حبيب الأحوال قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «صدقة يحبها الله؛ إصلاح بين الناس إذا تفسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا»^(١).

أضيف تنبيهاً للمراد: أن يكون ذلك الإصلاح على الحق، ومن أجل الحق ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(٢).

هذا حديث فقهي^٣ - وهو صحيح - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المصلح ليس بكاذب»^(٣).

وأنت تحاول الصلح بين مؤمنين قد تتعذر عليك مسالك الصدق كلها في تطيب خاطر المؤمن بالنسبة لأخيه المؤمن؛ لأنك لا تجد من الطرف الآخر إلا كلاماً سيئاً، وذكر كلام سوء يوتر العلاقة بدرجة أكبر. تريد كلمة طيبة من المؤمن قائلها في غيبة أخيه المؤمن

(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة المائدة: ٢.

(٣) المصدر نفسه.



في حقّه، فلا تجد. الاحتياط يقضي أن تذكر كلمة لها معنى ظاهر يمكن أن يُقنع المحدث بأنها ثناء عليه، والكلمة لم تكن قيلت بهذا المعنى، أو لم يكن المعنى الظاهر مراداً لك. تفعل ذلك فراراً من الكذب، وإذا اضطررت كان لك أن تكذب بأن تنقل كلمة خير، كلمة حب ومودة وإخلاص من المؤمن الآخر وهو لم يتفوه بها، تنقلها عنه لأخيه المؤمن لتصلح العلاقة بينهما. وهذا مورد من موارد الاستثناء لحرمة الكذب عندهم.

عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: قول الله عز وجل: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١)؟ قال: «من أخرجها من ضلال إلى هدى فكأنما أحياها ومن أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها»^(٢). هناك إحياء بدن بحماية أخيك من سيف يكاد يشق رأسه، ودفع ثعبان يكاد يقتله، وهذا خير، وفيه ثواب عظيم، والمنقذ لهذه النفس كأنما أحيا الناس جميعاً على هذا المستوى، وتدفع عن أخيك كلمة عند ظالم فيها هلاكه، أحييته، فكأنما أحييت الناس جميعاً، هذا مستوى من مستويات الحياة، أمّا

(١) سورة المائدة: ٣٢.

(٢) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٢١٠.

الحياة العظمى للإنسان فهي حياة إنسانيته، حياة قلبه، وروحه، حياة يبقى بها سعيداً إلى الأبد، تلك حياة أكبر، ومن أحيى إنساناً بهذه الحياة فقد جسد المصداق الأكبر للإحياء، وكأنما أحيى الناس جميعاً بهذا المستوى من الحياة العظمى.

عن فضيل بن يسار قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾؟ قال: «من حرق أو غرق»^(١)، قلت: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى؟ قال: «ذاك تأويلها الأعظم»^(٢). أنت ارتقيت بمستوى الحياة المعطاة، وهذا المحيي بهذا الحياة أحيى نمطاً من الحياة فوق كل حياة، وهذا هو المصداق الأكبر والأوضح في مسألة إحياء النفس^(٣).

(١) يعني إنسان يكاد يحترق، يكاد يغرق وأنت تنقذه فقد أحييت نفساً، وكأنما أحييت الناس جميعاً. «منه حفظه الله»

(٢) المصدر السابق: ٢١١.

(٣) خطبة الجمعة (٣٦٠) ١٥ ربيع الأول ١٤٣٠هـ - ١٣ مارس ٢٠٠٩م.

حقوق الأخوة في الإسلام

حقوق شرعية وآداب جمّة لهذه العلاقة الكريمة التي ترتبط بالقدس الديني، وتمثّل أرقى مستوى في الأخوات، من هذه الحقوق:

١- حرمة النفس والمال:

عنه صلى الله عليه وآله: «ألا أيها الناس إنّ المسلم أخو المسلم حقاً، ولا يحلّ لامرئٍ مسلم دم امرئٍ مسلم وماله إلا ما أعطاه بطيبة نفس منه»^(١).

٢- النصيحة:

عن الإمام عليّ عليه السلام: «أخوك في الله من هداك إلى رشاد، ونهاك عن فساد، وأعانك إلى إصلاح معاد»^(٢).

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٣٧، ص ١١٣، ط ٢ المصححة.

(٢) معجم المحاسن والمساوئ، ص ٥٢٥، ط ١. والنصيحة أن تقول الكلمة التي فيها صلاح أخيك، وتقف الموقف الذي فيه سداه وحمائته وكفايته. «منه حفظه الله»

٣- النصر:

عن رسول الله ﷺ: «من نصر أخاه المسلم وهو يستطيع ذلك نصره الله في الدنيا والآخرة»^(١).

عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة»^(٢). ولتلفت إلى أن نصرته الأخ المظلوم بالدفاع عنه، وأن نصرته الأخ الظالم بنهيه عن ظلمه.

٤- الإعانة:

عن أبي عبد الله عليه السلام: «أيما مؤمن نفس عن مؤمن كربة وهو معسر يسر الله له حوائجه في الدنيا والآخرة»^(٣).

عن رسول الله ﷺ: «المؤمنون إخوة يقضي بعضهم حوائج بعض، فبقضاء بعضهم حوائج بعض يقضي الله حوائجهم يوم القيامة»^(١).

(١) حلية الأولياء، ج ٣، ص ٢٥.

(٢) المحاسن، البرقي، ج ١، ص ٩٩.

(٣) عليك أن تنصر أخاك الظالم، كما أن عليك أن تنصر أخاك المظلوم، والنصر يختلف. «منه حفظه الله»

٥- الإكرام:

عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «من أكرم أخاه المسلم بكلمة يُلطفُ بها، وفرّج عنه كربته لم يزل في ظلّ الله الممدود عليه الرحمة ما كان في ذلك»^(٢).
وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «من أكرم أخاه فإنما يُكرم الله، فما ظنكم بمن يُكرم الله بأن يفعل به»^(٣).

٦- الإيثار:

عن الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَام: «عامل سائر النَّاس بالإنصاف، وعامل المؤمنين بالإيثار»^(٤).

٧- الحفظ بالغيب:

حَفْظُ الشَّرْفِ وَالكَرَامَةِ وَالسَّمْعَةِ وَالذِّكْرَ الْحَسَنَ مِنْ وَرَاءِ الْمُؤْمِنِ، وَحَالَ غَيْبَتِهِ.

(١) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٢٠٠ ط ٤. والله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٧١، ص ٢٩٩، ط ٢ المصححة.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٧، ص ١٨٩ ط ٢ (آل البيت).

(٤) موسوعة أحاديث أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَام، ج ١١ ص ٣٥٨، ط ١.

عن رسول الله ﷺ: «المؤمن أخو المؤمن من حيث يغيب يحفظه من ورائه...»^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «اذكروا أخاكم إذا غاب عنكم بأحسن ما تحبون أن تذكروا به إذا غبتم عنه»^(٢).

٨- إهداء العيب:

تنبيه المؤمن أخاه المؤمن على ما يشينه ويعيبه في لطف وأدب ومراعاة؛ طلباً لسلامته وحسنه وكمالهِ حق من حقوق الأخوة الإيمانية، وأثر من آثارها.

عن رسول الله ﷺ: «خير إخوانكم من أهدى إليكم عيوبكم»^(٣)، «المؤمن مرآة أخيه؛ يُميط^(٤) عنه الأذى»^(٥) يُميط عنه الأذى، ومن الأذى ما هو مادي، ومنه ما هو معنوي، وما يسيء ديناً وخلقاً.

(١) كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١، ص ١٥٢.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٧٢، ص ٢٥٣، ط ٣ المصححة.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٤٦، ط ١.

(٤) يزيله ويبعده. «منه حفظه الله»

(٥) موسوعة معارف الكتاب والسنة، ج ١، ص ٣٩٤، ط ١.

وعن الإمام

عليّ عليه السلام: «ثمره الأخوة حفظ الغيب، وإهداء العيب»^(١).

٩- الدعاء بالغيب:

عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «إنَّ الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب أو يذكره بخير قالوا: نعم الأخ أنت لأخيك تدعو له بالخير وهو غائب عنك، وتذكره بخير، قد أعطاك الله مثلي ما سألتَ له، وأتني عليك مثلي ما أثنت عليه، ولك الفضل عليه. وإذا سمعوه يذكر أخاه بسوء ويدعو عليه قالوا بئس الأخ أنت لأخيك كفَّ أيها المُستترُ على ذنوبه وعورته، واربِع على نفسك^(٢) واحمد الله الذي ستر عليك، واعلم أنَّ الله أعلم بعبده منك»^(٣).

١٠- النهي عن المنكر:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «من رأى أخاه على أمرٍ يكرهه فلم

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٠٨، ط ١.

(٢) اربع على نفسك: أرفق بنفسك وكف. «منه حفظه الله»

(٣) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٥٠٨، ط ٤.

يرده عنه - وهو يقدر عليه - فقد خانه»^(١).

١١- الصفح عن الزلل:

عن رسول الله ﷺ في ذكر صفات المؤمن: «لَطِيفٌ (يَعْطِفُ) عَلَى أَخِيهِ بِرِزْلَتِهِ، وَيَرَعَى مَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ صُحْبَتِهِ»^(٢).

١٢- التفقد عند الغيبة:

عن مكارم الأخلاق عن أنس: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا فَقَدَ الرَّجُلَ مِنْ إِخْوَانِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ سَأَلَ عَنْهُ؛ فَإِنْ كَانَ غَائِبًا دَعَا لَهُ، وَإِنْ كَانَ شَاهِدًا زَارَهُ، وَإِنْ كَانَ مَرِيضًا عَادَهُ»^(٣).

وتبقى قائمة الحقوق للمؤمنين على بعضهم البعض أطول مما ذكر هنا.

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٧١، ص ١٩٠، ط ٢ المصححة. تجديني أغتاب،

وأنت تقدر على نهبي عن غيبتي، وتسكت عني هذه خيانة. «منه حفظه الله»

(٢) المصدر السابق، ج ٦٤، ص ٣١١ المصححة.

(٣) المصدر السابق، ج ١٦، ص ٢٣٣.

من أحاديث

الحقوق الثابتة بإخوة الإيمان:

عن الإمام عليّ عليه السلام: «تبني الأخوة في الله على التناصح في الله، والتبازل في الله^(١)، والتعاون على طاعة الله، والتناهي عن معاصي الله، والتناصر في الله، وإخلاص المحبة^(٢)».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يغتابه، ولا يخونه، ولا يحرمه^(٣)».

والأحاديث في موضوع أخوة الإيمان وحقوقها فوق ما ذكر هنا بكثير وكثير وكثير^(٤).

(١) يبذل لك، وتبذل له، يعطيك وتعطيه، كل ذلك لله. «منه حفظه الله»

(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص ١٩٩، ط ١.

(٣) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ١٦٧، ط ٤.

(٤) خطبة الجمعة (٥٢٩) ١ محرم ١٤٣٤هـ - ١٦ نوفمبر ٢٠١٢م.

ضوابط تحكم علاقة الأخوة:

١- الحشمة ضمانة المودة:

«لا تُذهب الحشمة بينك وبين أخيك وأبق منها^(١)، فإنَّ ذهاب الحشمة ذهاب الحياء وبقاء الحشمة بقاء المودة»^(٢).

ابق في تصرفك، في انطلاقتك مع أخيك، في ترسلك في التعامل معه ما يحفظ بينكما الحياء الذي تذهب بالشرف خسارته^(٣).

(١) هناك ترسل يحدث بين الأخوين المؤمنين، ولكنه يبقى في حدود الأدب، والخلق، والوقار، والاتزان من غير أن يقود هذا الترسل إلى حالة من الانهيار في البعد الخلقى وعلى مستوى الحياء. وما الأثر إذا ذهب الحياء؟ طبعاً هو خسارة شخصية كبرى فإن الحياء عصمة عند الإنسان من كثير من الذنوب، وإلى جانب ذلك فإن سفح ماء الحياء في العلاقة بين الأخوين يؤدي إلى فسادها. والذي تبذله ليس هو الحياء الذي لا يجوز بذله، والحشمة وهي بمعنى الحياء استعملت في الحديث بمعنى التبسط في التصرف والمعاملة. «منه حفظه الله»

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١ ص ٣٩.

(٣) خطبة الجمعة (٣٤٦) ٢٢ ذو القعدة ١٤٢٩هـ - ٢١ نوفمبر ٢٠٠٨م.

٢- حدود العتاب والمحاسبة:

«من حاسب الإخوان على كل ذنب قلَّ أصدقاؤه»^(١)، سبق أن للمعاتبه وجهاً في بقاء الصداقة، وأن ترك المعاتبه بالكامل يزيد من تراكمات سوء الظن حتى يفقد صاحب ثقته في صاحبه. يبقى الغموض يلف مواقف صاحبك وكلماته وتصرفاته التي ما استطعت أن تفسرها في وقتها، حتى إذا زاد ذلك، بلغ بك سوء الظن إلى أن تتهمه بكل ما يستوجب القطيعة. عاتب، لكن عتاباً خفيفاً جميلاً، ولا تكثر من العتب ولا توغل في العتب حتى يصل بك الأمر إلى التفريع، وإلى أن تكون أثقل الناس على صاحبك لشدة ما تعتب^(٢).

٣- خط رجعة بعد القطيعة:

«لا تتبع أخاك بعد القطيعة وقية فيه، فيسدّ طريق الرجوع إليك، فلعلّ التجارب تردّه عليك»^(٣).

كنت تستر على أخيك والعلاقة قائمة بينكما، بل لم تكن عندك ملاحظات تستحق الذكر على أخيك، أما بعد القطيعة فأحدنا يراجع نفسه كثيراً ويحاول أن يفتش ويستقصي من أخيه

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٥٢.

(٢) خطبة الجمعة (٢٦٧) ٢٢ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ١٢ يناير ٢٠٠٧م.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٧١، ص ١٦٦.

كل وقفة وكل كلمة
ويدخل في محاسبة شديدة لأخيه عليه يستكشف عورة، عليه يقف
على سقطة لينشر ذلك في الناس. هدم لحق الأخوة، هدم لحق
الإسلام والإيمان أن يفعل أحدنا ذلك.

الكلمة هنا والمحدث يهتم بالمجانب الوضعي لهذا الفعل،
ويسكت عن الجانب التكليفي، فيقول الكلمة إن هذه الواقعة في
أخيك بعد قطع الصلة تُنهي كل علاقة مستقبلية بينكما، بينما أنك
قد تريح أخاك ثانية لأنه قد يتجلى لك أن أخاك من أصلح
الصلحاء وأوفى الأوفياء. أما وأنت قد وقعت فيه بعد القطيعة فإن
ذلك سيسد الطريق نهائياً على العلاقة بينكما.

لولا وقيعتك فيه كان يمكن للتجارب أن تردّه عليك. كان
يحسبك شيئاً بتصور خاطئ ومراجعاته النفسية وتجاربه الجديدة قد
تؤدي إلى أنك معشوقه الروحي، فيطلب مودتك وأخوتك من
جديد وبكل ثمن^(١).

(١) خطبة الجمعة (٢٦٦) ١٥ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ٥ يناير ٢٠٠٧م.

٤- لزوم الصلح بعد الصلح:

«ملعون ملعون رجل يبدؤه أخوه بالصلح فلم يصالحه»^(١)، وهو صلح ليس على حساب دين الله، وليس على حساب النقاء الإسلامي، صلحٌ يقوم على التنازل عن الذات ولا يقوم على التنازل عن الدين^(٢). فينا سوء خلق، قد أكون مظلوماً لكلمة نابية صدرت من أخ لي، أو سوء ظنٍ بي. قد أكون مظلوماً في شيء من مال، أو أي شيء من هذه الأشياء، فيأتي أخي يطلب مني الصلح. وقد تحصل بيننا مشادة، وقد يصرّ على ذنبه، إلا أنه يعود ويؤوب ليقوم العلاقة من جديد أو يرطبّ الأجواء على الأقلّ ولينهى المشكلة ويطلب الصلح عما حصل منه من ظلم، هنا أتحمّل مسؤولية إسلامية، ولو على نحو الاستحباب بأن أئين لأخي، ولأن أعيد المياه إلى مجاريها في علاقتي معه وأسعى لحطّ الوزر عن كاهله. حين أتأبى، وأتجافى، وأستعلي، وأستكبر، وأستغل ضعفه الذي وقع فيه، فأنا لست الإنسان المسلم كما ينبغي^(٣).

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٧١، ص ٢٣٦.

(٢) خطبة الجمعة (٣٤٦) ٢٢ ذو القعدة ١٤٢٩هـ - ٢١ نوفمبر ٢٠٠٨م

(٣) خطبة الجمعة (٢٦٦) ١٥ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ٥ يناير ٢٠٠٧م.

لا تواخ أصنافاً من الناس:

نحن نعرف أن الإسلام يحرص على أخوة الإيمان، ويحرص على أن يتوسّع المسلم في الصحبة، وفي الصداقة، وحتى أن يتوسع في طلب التعرف على الآخرين.

الإسلام يفتح على الأخوة الصادقة، على الصداقة الحقيقية، على أن تصاحب الآخرين، على أن تعاشر الآخرين، على أن تعرف الآخرين، وكل ذلك إنما يطلبه الإنسان المسلم لصلاحه وصلاح مجتمعه، ولكي تتسع دائرة إشعاعه، وحتى يستفيد بدرجة أكبر لصلاح إنسانيته. لكن مع هذا فإن الإسلام يحذر من نوع من الناس:

١- «لا ترغبنّ فيمن زهد فيك، ولا تزهدنّ فيمن رغب فيك»^(١). إنسان يقبل عليك وأنت تدبر عنه، فإذا لم يكن عندك سبب قوي وراء ذلك، ففي هذا التصرف شيء من جفاء، ومن سفه وفقد حكمة. آخر في المقابل كلما أقبلت عليه كلما أدير، أنت تطلبه وهو منك في فرار، لماذا هذه الملاحقة له؟ لماذا هذا التعلق به؟ في التوكل على الله ما يكفي. وكأنه من فقد الثقة في الله أو من قلة في التدبّر أن تطلب إخواناً من هذا النوع، وتلحّ على طلبهم.

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٥٢.

٢- «لا تواخ أحداً حتى تعرف موارده ومصادره، فإذا استطبت الخبرة ورضيت العشرة فأخه على إقالة العثرة، والمواساة في العسرة»^(١). الإسلام يرفض للإنسان المسلم البساطة والسذاجة، والفجاجة، ومن كل ذلك أن ترمي بكلك على واحد من الناس تعطيه كل ثقتك، وتدخل معه في مواخاة صادقة ضاربة في العمق من غير أن تختبره. الاختبار قبل الصداقة والأخوة، وتأتي الأخوة على قدر معرفتك بالآخرين. أما وقد عرفته، ودلتك التجربة على أهليته للأخوة وعلى صلاحه، فلا تتنبع منه كل عثرة، ولا تلاحق منه كل زلة، وكن المخلص إليه كل الإخلاص.

٣- عن الصادق عليه السلام: «احذر أن تواخي من أراذك لطمع أو خوف أو ميل أو للأكل والشرب، واطلب مواخاة الأتقياء وإن أفنيت عمرك في طلبهم»^(٢). الأخوة القائمة على أغراض دنيوية أخوة سطحية كاذبة، وسريع ما يبيعك أخ طلبك لشيء من أشياء الدنيا وأمر من أمورها. يبيعك ويستغني عنك حال تنقضي حاجته، أو حال ييأس من توفير ما طمع منك فيه. أما التقي العاقل الحكيم، فلك أن تطلبه كما في الحديث وإن أفنيت عمرك في طلبه^(٣).

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) خطبة الجمعة (٢٦٧) ٢٢ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ١٢ يناير ٢٠٠٧م.

قلّة الأخ الموثوق به في آخر الزمان

تقول الكلمة عن الرسول ﷺ: «أقلّ ما يكون في آخر الزمان أخٌ يوثق به، أو درهم من حلال»^(١).

آخر الزمان هو زمن التفكير المادي، والعشق للدنيا، آخر الزمان هو زمن يحكم فيه الخط المادي في الأرض ويركز قيم الأرض، ويطارد قيم السماء. وفي ظل هيمنة المادة، وفكر المادة وشعورها وقيمها، ونظرتها القصيرة لا بدّ أن يشحّ وجود الأخ الموثوق. حياة المادة تخربّ الأوضاع الخارجية، وتفسد النفس، وتجفّف منابع الرحمة ومانع الخير في داخل الإنسان، وفي ظل هذا الوضع لا بدّ أن يصعب عليك أن تجد أخاً موثقاً به؛ لأنّ الثقة بالشخص إنّما تنبع أول ما تنبع من ارتباطه بالله، من قيمه السماوية، من حسّه الأخروي، من إنسانيته الغزيرة. وكل ذلك في جفاف، وكل ذلك في اضمحلال حين تحكم المادة وقيمها في الأرض. ويأتي الحديث الآخر في هذا السياق فيقول: قال محمد بن هارون الجلاب: قلت لأبي الحسن الهادي عليه السلام: روينا عن آبائك أنه يأتي على الناس زمان لا يكون شيء أعزّ من أخ أنيس، أو كسب درهم

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٥٢.

من حلال. فقال: «إنّ العزيز موجود، ولكنك في زمان ليس شيء أعسر من درهم حلال وأخ في الله ﷻ»^(١).

يقول الإمام عليّ في هذا الجواب، هناك تفاوت بين زمن وآخر، هناك زمن يعزّ فيه الصديق، وزمن آخر يعسر فيه الصديق، والعسر درجة أشدّ من درجة أن يعزّ الشيء. معنى أن يعزّ الشيء هو أن يغلا، ويكون طلبه بالثمن الكبير، أمّا أن يعسر فذلك أن الحصول على الصديق يتعب بدرجة أكبر، ويشحّ بدرجة أكبر ولا يكاد يحصل^(٢).

عن الرسول ﷺ: «يأتي على الناس زمان إذا سمعت باسم الرجل خير من أن تلقاه، فإذا لقيته خير من أن تجربّه، ولو جرّبته أظهر لك أحوالاً»^(٣). إذا لقيته ولو لساعة اكتشفت منه ما يسوء، وانحدرت شخصيته في نفسك عمّا سمعت «فإذا لقيته خير من أن تجربّه»، والتجربة ستكشف لك فيه عورات وعورات، وذلك حين يقلّ الرجال، وحين تخفّ الأوزان، وحين تشحّ الإنسانية وتحفّ، وكل ذلك يحصل في ظلّ سيادة القيم المادية والانكباب على الأرض

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٥٢.

(٢) خطبة الجمعة (٢٦٧) ٢٢ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ١٢ يناير ٢٠٠٧م.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٥٢.



والتعلق بالدنيا، «ولو جرّبته أظهر لك أحوالاً» تنكير للتعظيم، فهو يظهر لك أحوالاً عظيمة السوء مهولة^(١).

(١) خطبة الجمعة (٢٦٧) ٢٢ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ١٢ يناير ٢٠٠٧م.